





العنوان: صدى الأربعين

الناشر: العتبة العباسية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية
الإعداد والتحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات

التصميم والإخراج: محمد قاسم

الطبعة: الأولى

عدد النسخ: ٣٠٠٠

المطبعة: دار الضياء – النجف الأشرف

العراق – كربلاء المقدسة

شهر صفر الخير ١٤٣٤ هـ – كانون الثاني ٢٠١٣ م

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المحتويات

- ٩ إحياء الإسلام بإحياء قضية الوحدة
- ١٥ إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وتعظيم الشعائر الحسينية
- ٢٥ أربعينية الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الإسلام
- ٣٣ التأييد الإلهي لزيارة الأربعين
- ٤٣ السيدة زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد
- ٥١ الشام ومناحتها على الإمام الحسين عليه السلام
- ٥٩ الطغاة وأساليب المساومة والتركيع
- ٦٥ العلاقة بين الخشوع لله والحزن لمصاب الحسين عليه السلام
- ٧١ عظمة العقيلة عليها السلام في المبادرة والاختيار
- ٧٧ المفاهيم التي تشتمل عليها زيارة الحسين عليه السلام

٨٥ رحلة آل رسول الله ﷺ إلى الشام

٩٣ حديث الحوراء زينب عليها السلام للإمام زين العابدين عليه السلام
وكلامها في علو شأن قبر الحسين عليه السلام على مرّ الأيام

١٠١ خصائص وصفات الإمام الحسين عليه السلام

١١٥ قافلة آل الرسول ﷺ تصل الى الكوفة

١٢٣ لقد شاء الله أن يراهنّ سبايا

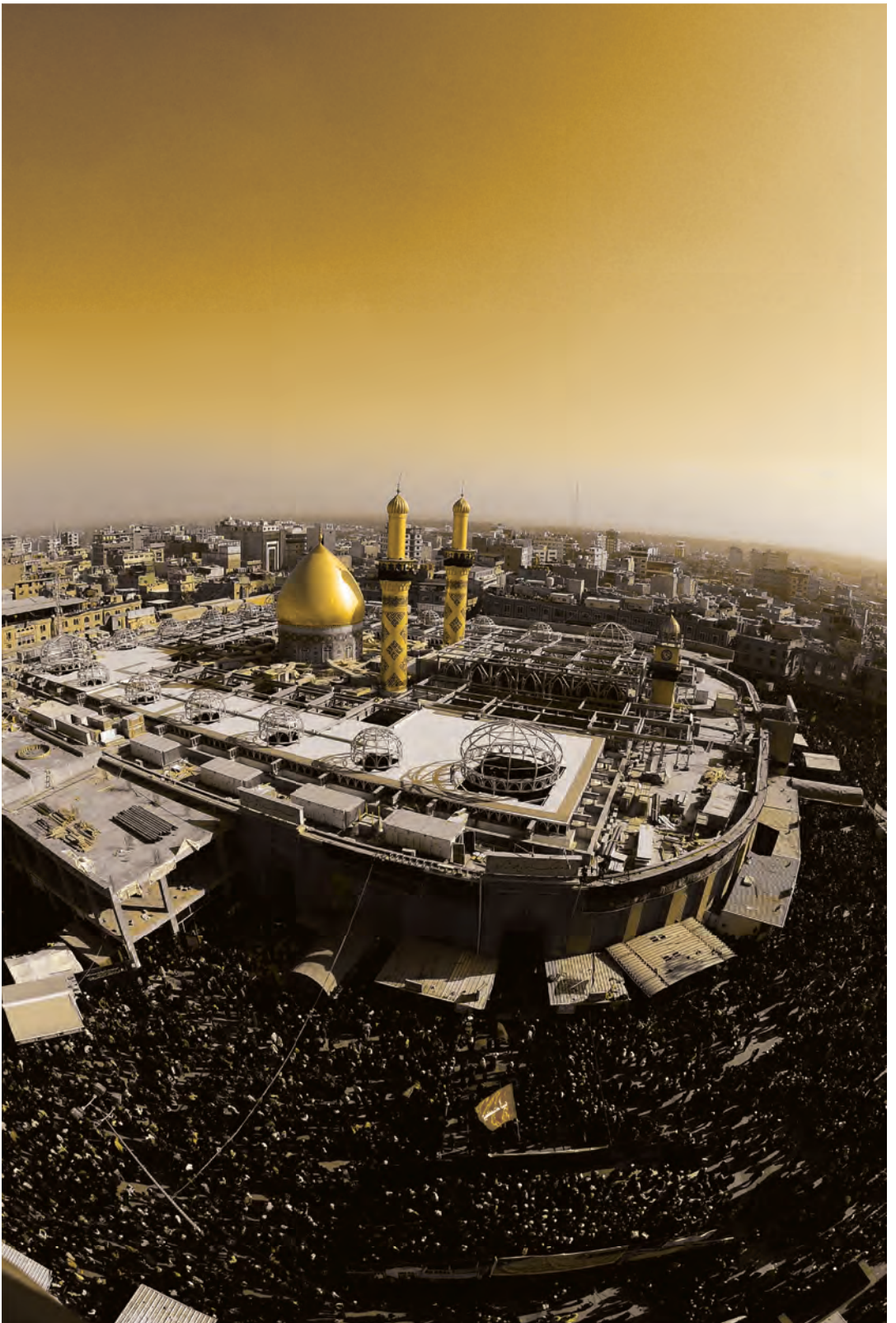
١٣١ لكي لا تسبى حرائر الحسين عليه السلام مرة أخرى!!

١٣٧ مدينة الرسول ﷺ تندب الحسين وآله عليهم السلام

١٤٧ نوح السبايا والصحابة يوم الأربعين

١٥٣ بعض الأبيات الشعرية من قصيدة طويلة
للدكتور عبد الهادي الحكيم في ذكرى الأربعين

١٥٧ مقطوعة من تخميس للسيد رضا الموسوي الهندي
عن لسان زينب عليها السلام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إحياء الإسلام بإحياء قضية الوحدة

حسن يحيى

في إطار العودة إلى القرآن الكريم الذي أمرنا بالرجوع إليه، لا يسعنا إلا أن نقف ملياً عند الآيات التي تحدّد لنا الوصف الحقيقي الذي يتّصف به المسلمون، ويشكّل حقيقة هويّتهم، وترسم الإطار العام لعلاقاتهم فيما بينهم، ولعلاقاتهم مع المؤمنين الآخرين من أهل الكتاب، ومع الناس كافة.

فالقرآن الكريم يخاطب المسلمين بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠، فهو يعتبر المسلمين أمةً واحدة، وفي الحقيقة: إنّ إطلاق اسم (الأمة) على المجتمعات الإسلامية المختلفة والمتفاوتة فيما بينها ما هو إلا إطلاق قرآنيّ وتوصيف ربّانيّ، وبالتالي: فهو توصيف حقيقيّ وواقعيّ، وليس -كما يقول البعض- مجرد تسمية تعكس تمنيّات ورغبات لم ولن تكون لها حقيقة على أرض الواقع أبداً!!

نعم، قد يقصّر بعض أبناء هذه الأمة في بعض المراحل والمواقع والأزمنة -كما هي حالتنا الراهنة أيضاً- فينسبون أو يتناسون انتماءهم إلى هذه الأمة، ويصدر منهم ما لا يليق بأمة محمد ﷺ، فيتركون للأعداء فرصة الاصطياد في المياه العكرة، إن لم نقل بأنّ بعضهم ينجّر إلى حدّ الخيانة العظمى والتواطؤ والتآمر على إخوته من أبناء دينه وأمتّه..

إلا أنّ هذا لا يغيّر من واقع الحال شيئاً، فعلى المسلمين، عاجلاً أم آجلاً، أن يعوا حقيقة انتمائهم الواحد، وأمتهم الواحدة، ومصيرهم الواحد، وبالتالي: عليهم أيضاً أن يركّزوا على وحدة مساراتهم واختياراتهم وقراراتهم؛ إذ إنّ وحدة المصير تستلزم -لا محالة- وحدة المسار، والاشتراك في اتخاذ الموقف والقرار، وإنّ جهل البعض، أو تجاهلهم، لا يعفي النخب الإسلامية من مسؤوليّتها ومن مهمّتها الرئيسيّة، وهي التصرّف على أساس الأمة الواحدة، والتعامل مع الآخرين من منطلق الأمة الواحدة، الذي يحتم مراعاة مصالح هذه الأمة ككل، والتوجّه إلى شؤونها ومعالجة قضاياها باعتبارها كلاً واحداً منسجماً ومتكاملاً، بعيداً عن كلّ الاعتبارات الزائفة، التي تضيق آفاق العمل، وتحدّ مجالات البذل والعطاء.

مع العلم بأنّ الأعداء، منذ القدم، لا ينفذون إلى قلب هذه الأمة إلاّ من خلال تلك

الاعتبارات البغيضة، العرقية والقومية والطائفية والحزبية والفئوية والعشائرية والمناطقية... والتي هي مكامن ضعفٍ حقيقيةٍ ابتليت بها هذه الأمة، نتيجةً لكونها حبالاً وحيلاً وتسويلاً تنطوي بسهولة على بعض ضعاف العقول، أو أصحاب الأهواء والأغراض والأطماع.

ويتابع القرآن الكريم ليقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣، ويقول كذلك: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ المؤمنون: ٥٢، فوحدة الأمة في الإسلام إذاً إرادة إلهية، وقيامها واجب شرعي، ومن أحاديث رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو منا».

إنّ هذا التركيز القرآني والنبوي على وحدة الأمة، يجعل من العمل على إقامتها والمحافظة عليها، بما يتطلبه ذلك من نبذ الفرقة والخلاف، فريضة دينية، وعنصراً استراتيجياً لا بد من تواجده وحضوره بشكلٍ دائم وقويٍّ في صميم السياسات الإسلامية، ويُخرج الوحدة عن كونها مجرد ضرورةٍ مرحليةٍ سياسيةٍ أو اجتماعيةٍ أو اقتصاديةٍ أو ثقافيةٍ، لا بل يحول قضية الوحدة والدفاع عنها لكي تكون قضية الدفاع عن الإسلام نفسه.

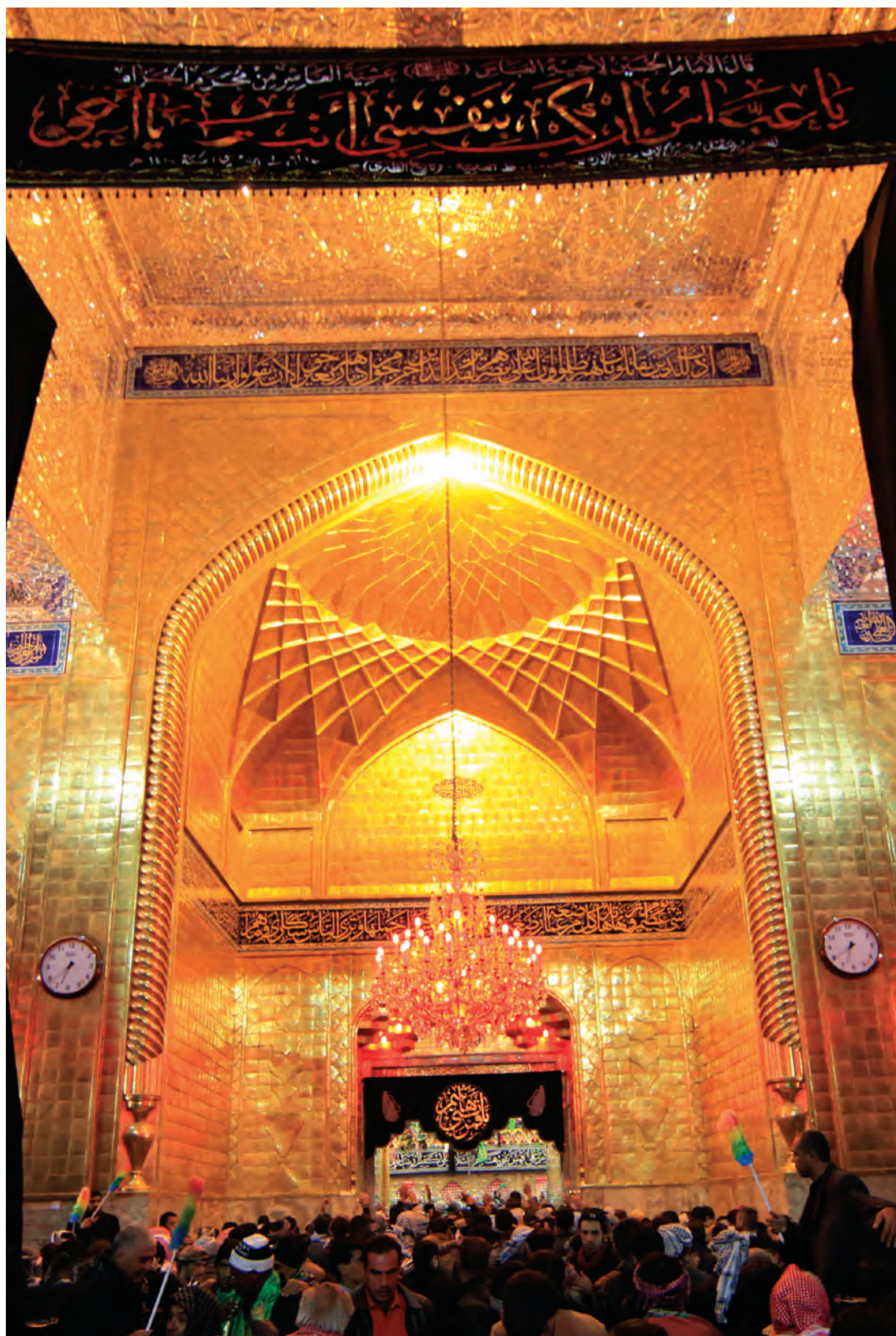
وفي ذكرى الأربعين، وهي ذكرى عودة الركب الحسيني من رحلة الأسر والسبي الطويلة التي بدأت من كربلاء، وانتهت بالشام، مروراً بالكوفة، وما بين هذه المدن والخواضر الإسلامية من بقاعٍ وقرى وأرياف، عودة هذا الركب المؤلف من العليل، الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن النسوة والأطفال، حاملين معهم رأس الحسين الشهيد الذي كان يزيد وأعدائه الظلمة قد رفعوه على رأس رمح طويل، على طول الطريق، ليعيدوا هذا الرأس إلى حيث دُفن الجسد الطاهر للإمام الحسين عليه السلام بكربلاء.. في هذه الذكرى الأليمة والقاسية على قلب النبي محمد ﷺ، وابنته فاطمة الزهراء البتول عليها السلام، وأخيه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، نستذكر مواقف العزة الشاخصة، والتضحية بالغالي والنفيس، واسترخاض بذل الأرواح في سبيل الإسلام والمبدأ والحق.. ونستحضر كلمة الإمام الحسين عليه السلام الشهيرة: (هيهات منا الذلة)، التي خلّصت وتلخّص مبادئ الثورة الحسينية.

وفيما يتعلّق بهذه الكلمة بالخصوص، نلاحظ أنّها كلمة إسلاميّة وإنسانيّة جامعة، لا مكان فيها لشيءٍ من تلك الاعتبارات البغيضة والحدود الضيقة التي أشرنا إليها فيما سبق، هي كلمة حقّ لها أن تُكتب بحروفٍ من نور على قلب كلّ مسلم ومسلمة، لا بل على قلب كلّ إنسان حرّ وشريف، وأن يجعلها مبدأً له لا يتخلّى عنه طول حياته؛ لأنّ في تخلّيه عنها تخلّياً عن مبادئ الإسلام نفسه، فالإسلام هو الذي أقرّ مبدأ العزّة والكرامة، عندما جعل الإنسان أكرم مخلوقات الله، وعندما جعل العزّة لله ولرسوله، ومن بعدهما للمؤمنين عامّةً.

لقد انطوت هذه الكلمة، على وجاهتها وقوّة ألفاظها، ما جسّده الإمام الحسين (عليه السلام) من الالتزام بالحقّ المتمثّل في رسالة جدّه (عليه السلام) ومن الإخلاص للقضيّة التي يؤمن بها، ومن تضحياته من أجل أن تبقى كلمة الله هي العليا.. أفليس في هذا كلّ أساساً ومنطلقاً لوحدة الأمة الإسلاميّة؟! إنّ هذه المناسبة الجليلة يجب أن تشكّل حافزاً لنا لنعيد بناء أمتنا على القيم والمبادئ الإسلاميّة السامية التي استشهد الإمام الحسين في سبيلها، وبذلك فقط نكون أوفياء له ولصرخة الحقّ التي أطلقها.

ومن هنا، فإنّنا نرى أنّ الانتصار لقضيّة الإمام الحسين (عليه السلام) لا يكون إلّا بالانتصار لوحدة الأمة، ولشرعها ولشرعيّتها، ولا يكون إلّا بالترفع عن الانقسامات والتفسّخات المذهبيّة والتكفيريّة؛ لأنّ التشرذم هو فقط ما يُلهمي الأمة ويغرقها في الانشغال بالصغائر من الأمور، ليصبح حال الأمة بذلك كحال رجلٍ سكّير مخمور لا يدري ما يقول، ولا يشعر بما يجري حوله، وهذا فقط هو ما يعرّض الأمة لأن يسيطر عليها حكام فاسدون منحطّون، كيزيد بن معاوية، وهذا فقط هو ما يعرّض الأمة أيضاً لأن ترتكب جريمةً كالتّي ارتكبتها، أعني بها: قتل الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته بهذه الطريقة المفجعة التي بكت لها السماء دماً.

إن المسلمين مدعوّون بهذه المناسبة إلى الارتفاع في توادهم وتراحيمهم إلى مستوى المؤمنين المتكاملين في جسد واحد، وبذلك فقط نتوّج استشهاد الحسين (عليه السلام) بالوحدة التي استشهد في سبيلها، ونحقق أخوة الإيمان.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وتعظيم الشعائر الحسينية

السيد أحمد الحسيني

أهل البيت عليهم السلام عنوانٌ مُضيء في حياة الإنسانية، وعنوان شامخ في حركة التاريخ والمسيرة الإسلامية، نطق به الوحي الإلهي، ونطق به رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهج بذكره المسلمون من جميع المذاهب، وهم أعلام الهدى وقدوة المتقين، وهم مأوى أفئدة المسلمين من جميع أقطار الأرض، عُرفوا بالعلم والحكمة والإخلاص والوفاء والصدق والحلم، وسائر صفات الكمال في الشخصية الإسلامية، فكانوا قدوة للمسلمين، ورواد الحركة الإصلاحية والتغيرية في المسيرة الإسلامية.

وأهل البيت عليهم السلام هم المنقذ والمنجي الوحيد للإنسانية في الدنيا والآخرة، كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله: (إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكَبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ)^(١).

وهم أمان للإنسانية وللأمة الإسلامية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلّفوا فصاروا حزب إبليس)^(٢).

ووصفهم أمير المؤمنين عليه السلام: (هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام؛ بهم عاد الحق إلى نصابه... عقلوا الدين عقل وعاية لا عقل سماع ورواية)^(٣).

وهم الميزان والمعيّار لتقييم وتقويم الأشخاص والوجودات والمواقف، ومعرفة مدى قربهم وبعدهم عن المنهج الإلهي في الحياة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي)^(٤).

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥١، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨، الجامع الصغير ٢: ٥٣٣.

(٢) المستدرك ٣: ١٤٩، الصواعق المحرقة: ٢٣٤، الإتحاف بحب الأشراف: ٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ٣٥٧، الخطبة: ٣٢٩. تحقيق د. صبحي الصالح.

(٤) نهج البلاغة: ٤٨٨، الحكمة: ١٠٩.

ودور أهل البيت عليهم السلام في الحياة الإنسانية هو دور القدوة والحجة، وكل الأدوار الباقية متفرعة عن هذا الدور، ودور القدوة والحجة هو دور الوصل بين السماء والأرض، والوصل بين الله تعالى والإنسان، فهم عليهم السلام حجج الله على العباد إلى يوم القيامة، وإن الواجب على المسلمين هو الاقتداء بهم في جميع مقومات الشخصية الإنسانية وهي: الفكر والعاطفة والسلوك، وفي جميع مجالات الحياة العملية، لأنهم سفن النجاة في الدنيا وفي الآخرة لمن اقتدى بهم، بعد إيمانه بإمامتهم وقيادتهم للإنسانية جمعاء.

والاقتداء بهم يستلزم ربط الناس بهم فكرياً وعاطفياً وسلوكياً قبل كل شيء، والذي يتوقف منطقياً على إحياء ذكرهم، وقد وردت روايات متظافرة ومتواترة على أهمية هذا الإحياء، وكما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (اتقوا الله وكونوا أخوة بررة متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين، تراوروا وتلاقوا وتذاكروا وأحيوا أمرنا)^(٥). وأفضل مواسم الإحياء المكثفة هي مواسم عاشوراء وصفر، وإن كان المطلوب هو إحياء ذكرهم في كل وقت، ولكن لعاشوراء وصفر ظرفاً خاصة تُشعر الإنسان والمجتمع الموالي بأنه يعيش الإحياء بكل كيانه وأعماق نفسه.

ولعاشوراء أهمية استثنائية وللإمام الحسين عليه السلام أهمية استثنائية، لأن دمه الزكي أبقى للإسلام وجوده وكيانه ومعالمه، ولولا دمه الزكي لتمكن يزيد والحكم الأموي من طمس معالم الدين وإعادة الجاهلية بلباس إسلامي أولاً ومن ثم الانسلاخ من هذا اللباس نهائياً.

وهذه الأهمية الاستثنائية لم تأتِ اعتباطاً، فقد جاءت بعد أحاديث شريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله تؤكد هذه الأهمية حيث ركزت على شخصية الإمام الحسين عليه السلام وعلى خصوصيات ثورته وتضحياته، واعتباره محيي الدين والشرعية، وقد ورد ذلك في

قوله ﷺ: (حسين مني وأنا من حسين) (٦).

ووردت روايات عديدة عن أمير المؤمنين ﷺ بحق الإمام الحسين ﷺ ومنها قوله ﷺ: (كلنا سفن النجاة وسفينة الحسين أسرع، كلنا أبواب النجاة وباب الحسين أوسع)، وقد تناقل الصحابة والتابعون الكثير من الروايات التي تؤكد استشهاد الإمام الحسين ﷺ ووجوب نصرته وثواب إحياء ذكره وزيارته، وإضافة إلى ذلك أكد أهل البيت ﷺ على إحياء هذه الذكرى وكانوا يقومون بإحيائها في بيوتهم وبيوت أصحابهم. وخلاصة ما تقدم إن المصداق الأوسع والأشمل والأظهر لإحياء أمر أهل البيت ﷺ هو إحياء ذكرى الإمام الحسين ﷺ وواقعة الطف وما تبعها من أحداث كالسبي ودور العقيلة زينب ﷺ في إحياء وتجديد الذكرى بكل أبعادها.

وإحياء الذكرى ينبغي أن يكون إحياءً حقيقياً ينسجم مع تعاليم وتوصيات وإرشادات أهل البيت ﷺ وينسجم مع دورهم في الحياة باعتبارهم أئمة وقادة وحججاً وقادة للناس أجمعين، وكل لون من الإحياء هو أمر محبوب ومرغوب، ولكن الإحياء الأنسب والأصوب هو إحياء جميع ما يتعلق بأهل البيت ﷺ وهو ما يثاب المرء عليه، قال الإمام جعفر الصادق ﷺ: (نفس المهوم لنا المغتم لظلمنا تسبيح، وهمه لأمرنا عبادة، وكتمانه لسرنا جهاد في سبيل الله).

وإحياء ذكرى أو أمر أهل البيت ﷺ سواء كان في عاشوراء أو في بقية الأشهر والأيام، أو إحياء ذكرى الإمام الحسين ﷺ ينبغي أن يكون إحياءً شاملاً متكاملًا، وينبغي أن يعمل كل إنسان ما بوسعه من أجل هذا الإحياء كل حسب طاقته وإمكاناته، وكل حسب فهمه ووعيه، فكل مظهر من مظاهر الإحياء محبوب ومرغوب فيه مادام منسجماً مع ثوابت الشريعة الإسلامية وواقعاً في أحد دوائر أو مجالات أو أقسام الحكم الشرعي: الواجب، أو المستحب أو المباح، وإحياء أمر أهل البيت ﷺ وخصوصاً إحياء أمر أو

شعائر الإمام الحسين عليه السلام ينبغي أن يكون مستوعباً لشخصية ونهضة الإمام عليه السلام بكل أبعادها وأهدافها وغاياتها وهي:

أولاً: إحياء الدور الحقيقي للإمام الحسين عليه السلام وهو دور الإمامة والقيادة والحجة والقدوة، فهو إمام مفترض الطاعة كما نصّت عليه الآيات والروايات، وهو إمام يستحق الإمامة أو تنحصر به الإمامة حسب الأسس الثابتة لعلماء وفقهاء العامة والذين يشترطون في الإمام أن يكون فقيهاً عادلاً ومبائعاً من قبل أهل الحل والعقد وهم الفقهاء.

فينبغي إحياء هذه الحقائق وبيان أحقية الإمام الحسين عليه السلام بالإمامة على رأي الشيعة والسنة من أمثال القلقشندي والتفتزاني والماوردي والجويني وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين.

ثانياً: إحياء فضائل وكرامات الإمام الحسين عليه السلام، وقد ظهرت له عدّة كرامات في أثناء المعركة وبعدها ذكرها المؤرخون من الشيعة والسنة واعترف بها حتى أعداء الإمام الحسين عليه السلام ومنهم الذين شاركوا في قتله، وكذلك إحياء الكرامات التي تظهر بين الحين والآخر بشكل لا يقبل التكذيب ولا التأويل، وهذه الكرامات خير وسيلة لربط الناس بالإمام الحسين وبأهل البيت عليهم السلام ومن ثم ربطهم بعالم الغيب، وهي خير وسيلة لتقوية الإيمان وتجيده بالقلوب والعقول، سواء كان الإيمان بالله تعالى أو الإيمان بأهداف الثورة الحسينية.

ثالثاً: إحياء مظاهر المظلومية ومصاديقها من قتل واعتداء وسلب وأسر، وما تعرض له أهل البيت عليهم السلام عموماً والحسين عليه السلام خصوصاً من غصب حق ومن اعتداء ومن ظلم دون مراعاة حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة أهل بيته عليهم السلام وحرمة من يريدون الإصلاح في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وإحياء ذكرى ومظاهر المظلومية يربط القلب والعواطف والمشاعر برموز المظلومية

لتندك بهم فكراً وعاطفياً وسلوكياً، ولكي تبقى النفوس وثابة متأججة ومتّصلة بهؤلاء المظلومين الذين ضحّوا من أجل سلامة الدّين وسلامة العقيدة وسلامة الأفكار وسلامة العواطف ومن ثم سلامة الأمّة والدولة من الانحراف والفساد، وقد كان للمظلومية دور كبير في كشف الحقائق والتمييز بين منهجي الحق والباطل، ولا غرابة حين تجد من يقول: (لقد شيعني الحسين).

رابعاً: إحياء سيرة أهل البيت عليهم السلام وسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الأمر ضروري من أجل الاقتداء والتأسي بهم عليهم السلام في جميع مجالات السيرة والموقف والسلوك سواء كان فردياً أو اجتماعياً، فينبغي إحياء سيرة الإمام الحسين عليه السلام كفرد وكأمّة، وإحياء سيرته في تعامله مع الله تعالى في عبادته ودعائه وخوفه من الله تعالى، وإحياء سيرته في ارتباطه بالقرآن الكريم، وإحياء سيرته في علاقاته مع زوجاته وأبنائه وبناته، ومع جيرانه، ومع المجتمع ككل، وإحياء سيرته في تعامله مع الموالين ومع المعادين ومع المخالفين، وإحياء سيرته الخلقية في جميع أبعادها في تقواه وكرمه وغيرته وفي إحساسه وعطفه وصبره، وصدقه وصراحته وكل ما يتعلق به من خلق وسلوك.

ومن أهم مصاديق إحياء الذكرى وإحياء الشعائر، إحياء أهداف النهضة الحسينية والتي حددها الإمام الحسين عليه السلام في وصيته الخالدة: (...إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني الدعوة إلى الدين كعقيدة وهو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، والدعوة إلى العمل الصالح والنهي عن العمل الطالح، وهو أمر يستوعب جميع مظاهر الحياة وأبعادها، فهو إصلاح للقلب وللعقل وللإرادة، وإصلاح للسلوك وإصلاح للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتكون إسلامية، ويكون الإصلاح منسجماً مع منهج رسول الله ﷺ ومنهج باب علمه ووريثه أمير

المؤمنين عليهم السلام، وهو ما سعى لتحقيقه الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة والموعظة الحسنة كما أكدت عليها الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

وعلى ضوء ذلك ينبغي أن يحقق الإحياء ثمرات عملية وواقعية في كل مناسبات الإحياء، أقلها أن يزداد الارتباط بالإمام الحسين وبأهل البيت عليهم السلام وبمنهجهم، واستشعار رقابتهم لنا لكي تتحول إلى تحريك للعقول والقلوب لتتوجه نحو الإصلاح والتغيير.

وإنّ المرجو أو الطموح الحقيقي، هو أن نوسع من دائرة محبي الحسين عليه السلام ومواليه وأن نستقطب عناصر جديدة للانتماء إلى هذه السفينة سواء كانوا من أبناء المذاهب الأخر أو من غير المسلمين.

آليات إحياء الذكرى أو الشعائر الحسينية

إنّ آليات إحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام أو الشعائر الحسينية بحاجة إلى تجميع الطاقات وتكثيف الجهود، وتنسيق الخطط والبرامج، وتنظيم الأعمال وتوزيع المسؤوليات، وبحاجة إلى التشاور بين جميع المعنيين بإحياء هذه الشعائر ومنهم:

١. المراجع والفقهاء وطلاب الحوزة العلمية.
 ٢. الخطباء والشعراء و (الرواديد).
 ٣. مسؤولو المساجد والحسينيات والمواكب.
 ٤. الكتاب والمؤلفون.
 ٥. الممثلون ومطلق الفنانين.
 ٦. القوى المؤثرة في الواقع الاجتماعي والسياسي كرجال الدولة، إن كانت دولة إسلامية، والمعلمين وطلاب الجامعة.
- والتشاور ضرورة يفرضها الواقع لكي يتوصل الجميع إلى آليات واحدة مقبولة شرعاً

وعرفاً، وهذه الآليات تحددها مجموعة من العوامل أهمها:

١. الشرعية.

٢. الظروف العالمية والمحلية.

٣. المصلحة الإسلامية العامة.

٤. مصلحة المذهب.

وينبغي التركيز على الآليات التي ورد فيها نص بالدرجة الأولى من المعصومين عليهم السلام ومن الفقهاء ثم التوجه إلى الآليات المباحة التي تحيي الذكرى أو تقع في طريق إحيائها. فأمّا ما ورد به نصّ من قبل المعصومين عليهم السلام فكثير جداً ومن أهمه البكاء وإظهار الحزن بأي أسلوب أمكن وحية الأئمة عليهم السلام ترشدنا إلى ذلك وخصوصاً حياة الإمام زين العابدين عليه السلام الذي عدّ من البكائين، وإقامة المجالس الحسينية، وقراءة المقتل، وإقامة المهرجانات الشعرية، فكان أهل البيت عليهم السلام يستأجرون الشعراء لثناء الإمام الحسين عليه السلام أيام موسم الحج.

ومن آليات الإحياء وتعظيم الشعائر زيارة الإمام الحسين عليه السلام النظرية والعملية والمتمثلة بقراءة زيارة عاشوراء وزيارة وارث وزيارة القبر الشريف وخصوصاً عن طريق المشي على الأقدام فهي ظاهرة تستحق الاهتمام لأنها قد تكون جامعة لجميع الآليات، ففي الطريق إلى الإمام الحسين عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام تقام التعازي والمجالس وتلقى القصائد ويرتقي الخطباء المنبر المتجول حيث الوعظ والإرشاد والتذكير بالمصيبة، إضافة إلى لفت الأنظار المحلية والعالمية لهذه الظاهرة التي تمارس بصورة جماعية تحمل فيها الرايات السود ويرتدي فيها المحبّون والموالون لباس الحزن.

ومن آليات الإحياء تمثيل واقعة الطف وواقعة مقتل مسلم بن عقيل وواقعة السبايا، ويا حبذا لو تضافرت الجهود لإحياء هذه الظاهرة التي كانت الوسيلة الوحيدة المؤثرة في الأطفال والأحداث والناشئين، فلها دور كبير في تثقيف المجتمع بثقافة الواقعة

وبتفاصيلها التاريخية، وينبغي أن تؤدّى شعبياً ورسمياً.

وهناك آليات أُخر لإحياء الذكرى وتعظيم الشعائر كإقامة الندوات المستطيلة والمستديرة، التي يشترك فيها المحاضر والمتحدث والخطيب مع المستمع والمتلقي، حيث يخصص لكل منهم الوقت الكافي للحديث والتعقيب والحوار وإبداء وجهات النظر لإشراك أكبر عدد من أبناء الأمة في إبداء آرائهم حول النهضة الحسينية أو حول الشعائر الحسينية، وفي ذلك يتم تطوير الخطاب والخطيب والشعر والشاعر والموعظة والواعظ بما ينسجم مع تطوير آليات الدعوة للإسلام وآليات الإصلاح وأداء مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإضافة إلى جميع ما تقدم ينبغي إقامة مسابقات تتعلق بتعظيم الشعائر وإحياء الذكرى في كتابة الشعر أو النثر أو القصة أو التأليف في مختلف مجالات إحياء النهضة، وينبغي تكريم المبدعين وتشجيعهم على الإبداع في الآليات والأساليب التي تعمق ارتباط الناس بالإمام الحسين عليه السلام خصوصاً وبمنهج أهل البيت عليهم السلام عموماً، فبالتكريم المادي والمعنوي تتوسّع آفاق المبدعين وإن كان الثواب والجزاء بالحسنى هو المقدم على ذلك. وفي جميع الأحوال ينبغي استثمار كل الامكانيات والطاقات من أجل إحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام وتعظيم الشعائر الحسينية، وليس من الصحيح تجاوز أي إمكانية وأي طاقة في هذا المجال، وليس من الصحيح انتقاد هذه الآلية أو تلك أو السعي للتقليل من شأنها أو تعطيلها.

ولانسى أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من حركته ونهضته هو هداية الإنسان والمتمثلة بتغيير محتواه الداخلي في عقله وقلبه وإرادته لينسجم مع المنهج الإلهي في الحياة التي أرسى أركانها رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام.



عَلَيْهِ السَّلَام



أربعينية الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الإسلام

عدنان عبدالنبي البلداوي

عندما تكون الذكرى عظيمة بأهدافها السامية، يكون أثرها في العمق النفسي متناسباً مع عظمتها.. وكلّما تكرر يتجسد حدثها وكأنه ولد من جديد، لأن رافدها الحق، ورحمها الحقيقة، ولأن الهالة التي تحيط بعظمتها دائمة التوهج، لا تنقطع عن بثّ سناها. وفي مثل هكذا ذكرى من المؤكّد أن الوجدان الأصيل يحتوي صداها بشغف، لأنه مدين لها بالإيقاظ والاستنهاض.. ويتفاعل مع شعائرها، لأنها أشبعته بروافد الحرية ونسائم الكرامة.. وكيف لا يهتزّ وينحني لقدسيّتها وقد زرع وغرس عظمتها سيّد شباب أهل الجنة في يوم دام، شهد فيه التاريخ نهضة فاعلة وميدانية ضد الباطل، لإيقاظ ضمائر الناس وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم.

ولاشكّ في أن تحريك تلك الضمائر شبه الميته، والعمل من أجل إعلاء كلمة الحق وردم بؤر الباطل يحتاج إلى فدية ضخمة وكان ﷺ يعلم أنه الوحيد الذي يملك أن يتقدم لتحقيق ذلك لأن الحقيقة تقول: (من كان أكثر وعياً كان أكثر مسؤولية).

إنّ البعد الوجداني الذي اصطلح عليه البعد الرابع في هذا الموضوع الجهادي العظيم يكاد يطغى على كل الأبعاد الأخرى في ملحمة عاشوراء، لأن نبض الإنسانية مرتبط بحكم التداخلات السايكولوجية المودعة في أعماق النفس، فكل شريان ينزف بسبب اختراق صادر من ظالم فاسق ضد إنسان نقي، تبكي عليه الإنسانية وتندبه، فكيف حال الإنسانية مع أطفال وفتيان وكهول كانوا كالكواكب تمشي على الأرض يسري في عروقهم نور النبوة وإشراقة الإمامة فإذا بهم يهون سراعاً بسيف أراذل الأرض وفُسّاقها في ظهيرة يوم ليس كمثله يوم.

إن خلود ذكرى أربعينية الإمام الحسين ﷺ في وجدان الإسلام كانت تحصيل مراحل اجتازها الإمام ابتداءً من البعد الأوّل لنهضته الخالدة وهو بُعد الارتباط بالله تعالى، ذلك البعد المقدّس المداف بلحمه ودمه ﷺ تحقيقاً لأهداف إلهية، سبق أن أشار إليها جده المصطفى ﷺ يوم قال: (حسين مني وأنا من حسين) وهو النبي المرسل الذي (لا

ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

ومن ثم مرحلة البعد الثاني وهو البعد الإنساني الذي تفاعل الحسين عليه السلام مع أجوائه من خلال خطبه وكلماته التي أكد فيها قضية رفض الظلم أينما وجد كقوله عليه السلام عند لقائه الحر بن يزيد الرياحي: (ألا وإن هؤلاء لزموا الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله). إن الحسين عليه السلام كان يركّز على الظلم والجور الذي كان يمارسه يزيد تجاه المسلمين وتجاهه بشكل خاص، وكذلك قضايا الحرمان والاستضعاف لذا فإن البعد الثاني المذكور كان بعداً إنسانياً مطروحاً في تحرّكه عليه السلام.

أما البعد الثالث وهو التخطيط الكامل للتحرك.. البعد الذي أفضى في محصلته إلى تعرية بني أمية وكشف حقيقتهم، وقد تجسّد ذلك قبل المعركة وبعدها، أضف إلى أن التخطيط الهادف لتبصير الناس بما يحيطهم من ضلال، يترك أثراً نفسية وسياسية واجتماعية على مجمل الأوضاع العامة للمسلمين، وهذا ما كان يستهدفه الإمام عليه السلام في كل خطوة خطاها. لذا كان وراء إقدامه تخطيط محكم وفي غاية الدقة، من أجل تفعيل أهداف النهضة قولاً وفعلاً، لأنه لو أخذ برأي الناصحين له بالجلوس في بيته وعدم التوجه إلى العراق، لأعطى حكومة يزيد الفاجر صفة الشرعية ولأنه عليه السلام كان عارفاً بأن بقاءه سيؤول إلى القتل أيضاً ولكنه ما أراد قتلاً بصورة أو حالة لا تضخّ وقوداً متجدداً لديمومة الرسالة المحمّدية كالتّي ضحّتها معركة الطف بمشاهدها وأحداثها الأليمة.. إن كل من فكّر ويفكّر على مرّ الأيام والسنين في هكذا تخطيط بعيد المدى، وما آلت إليه النتائج من انتصار الدم على السيف قد أصبح متيقناً كل اليقين بأن الحسين عليه السلام إنما هو للإنسانية جمعاء، ولا شكّ في أن هكذا يقين لا بدّ أن يحتلّ في الوجدان مكاناً لا يبرحه بفضل ما بثّته نهضة الإمام الحسين عليه السلام من ومضات فاعلة للإيقاظ والتبصير وعدم التراجع.

ولاشكّ في أن الأبعاد الثلاثة قد تداخلت، ليولد البعد الرابع الذي هو البعد الوجداني الباقي إلى يومنا هذا يستنهض الهمم ضد البغي والطغيان ويُبكي القلوب قبل العيون لعظم المأساة التي اتخذت لها في سويداء القلوب مشاعلاً دائمة، فكل موقف دام أفرزته واقعة الطف في كل لحظاتها هو خالد في وجدان الإسلام، وحتى في وجدان الكثير من غير المسلمين والشواهد على ذلك كثيرة.

أما موضوع أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) فلا نّ مراسيمها تُؤدّى من قبل المواليين منذ زمن بعيد؛ فإن مدى الأثر الوجداني هو أثر ذو نتائج خاصة بهم وذو سمة لا تفارقهم، فإذا كانت ذكرى الاستشهاد قد تركت في الوجدان العام مواجع تنكأ في أيام عاشوراء فإن مواجع المتفانين في حب الحسين (عليه السلام) تظل بطبيعتها تنكأ في كل أيام حياتهم وهذا يعني أن لبيب وجدانهم في ذكرى الأربعينية قد سُجِّلَ وُسِّجِّلَ أعلى نسب التفاعل مع الحدث.

إن أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) ذات سمة خاصة انقطعت عن كل ما سبقها من عادات وتقاليد، وقد تجلّى ذلك في التوقيت الزمني الذي حصل دون قصد أو تخطيط مسبق، لأن أوامر سير وتوقف الركب الحسيني كانت تصدر عن أعوان يزيد؛ لذا فالتوقيت الذي نحن بصددده قد أفضى أخيراً إلى أن يحطّ عيال الحسين رحالهم مرة أخرى في أرض كربلاء بعد خروجهم من الشام ليتزامن وقوفهم على قبر الحسين وقبور الشهداء (عليه السلام) في يوم يحمل الرقم (أربعين) وقد أكّدت أمهات المصادر وأوثق الروايات تزامن الرقم أربعين مع عودة السبايا إلى كربلاء ففي كتاب (لواعج الأشجان) وفي (مقتل الحسين) للسيد المقرّم ما نصّه:

(وبعد زوال يوم الثاني عشر من محرم سار ابن سعد بالسبايا إلى الكوفة)، ونقل الفاضل الدربندي أن يوم (الثالث عشر) من محرم دخلت السبايا الكوفة وفي (الرابع عشر) منه أُدخلت السبايا في القصر على ابن زياد ولم يمكثوا أكثر من أسبوع في الكوفة وأمّا الطريق

إلى الشام فكان يستغرق شهراً للإبل ذوات الصبر والقوة ولكن الحداة الغلاظ أرهقوا قدرتها فقطعت المسافة في عشرة أيام، وقال المازندراني في معالي السبطين: (ودخلت الرؤوس والسبايا إلى دمشق يوم الجمعة أول صفر سنة ٦١ هـ وهو يوم عيد عند بني أمية ثم أمر يزيد بالسبايا ووضعهم في خربة قرب باب الفرائيس وباتوا فيها ثلاثة أيام. وروى الشبراوي في (الإتحاف) أن رأس الحسين عليه السلام أُعيد إلى جسده الشريف بعد أربعين يوماً وأكد ذلك الشريف المرتضى في مسائله وابن طاووس في (الملهوف على قتلى الطفوف) وابن حجر في (شرح همزية البوصيري). وهناك أكثر من رواية تقول أن يزيد سلم رؤوس الشهداء إلى الإمام السجاد عليه السلام فألحقها بالأبدان الطاهرة يوم العشرين من صفر، ومنذ ذلك التوثيق التاريخي بدأ الشيعة في كل مكان يحيون ذكرى أربعينية سيد الشهداء ويطعمون لموتاهم الأربعينية تيمناً بذلك.

وقد يقول قائل: إن ذكرى الأربعينية من الممكن أن تُقام مراسيمها في أماكن تعزية معينة دون الحاجة إلى أن يشدّ الرحال آلاف الرجال والنساء سيراً على الأقدام صوب كربلاء بالذات، كما من حق القائل أن يعرف ماذا يقف وراء هذا الدافع المليوني في كل عام...؟

لا شك في أن التوغل اللامحدود لألم الذكرى في العمق الوجداني لم يكتفِ بتفعيل التعبير عن الحزن والأسى تفعيلاً نظرياً وفي أماكن خاصة بعيدة عن كربلاء وإنما قاده الجرح المكثف إلى تفعيل التعبير تفعيلاً ميدانياً وعملياً، لا بدعة ولا تطرفاً كما يتقوّل من لم يعِ معنى توجّع الإنسانية، وفعلاً قد تجسّد ذلك التعبير العملي دون تصنّع أو تكلف، ودون إيعاز مكره أو أوامر قسرية من جهات سلطوية، لأن حقيقة ذلك التعبير قد أفصحت بأن ارتباط الدافع النفسي بالمسير مشدود بمنظر الركب الحسيني الحزين يوم كان يسير عبر الفيافي والقفار، عائداً من الشام إلى كربلاء في التوقيت الزمني الأربعيني الذي مرّ ذكره.. وفي ضوء ذلك لم يطق الوجدان صبراً في كل زمان إلا أن يواسي ويحيي

هياةً مسير العيال إحياءً فاعلاً على أرض الواقع، اقتداءً بمبدئية القول والفعل لسيد الشهداء عليه السلام ليعلن للعالم عن سرّ هذا التجمع المليونى..

والآن قد أصبح واضحاً بحكم ما أقرّته طبيعة الأحداث والمواقف وما استوعبته المشاعر، إن الشيعة ساروا ويسرون صوب كعبة الأحزان، لأن عيال الحسين عليه السلام ساروا مسيراً يحمل الكثير من النتائج والأهداف، فلماذا وقف ويقف الوجدان وراء كل حركة أو خطوة في ذلك التوجه..؟

من الشائع في السياق الاجتماعي العام أن ما يثير المشاعر أماً هو تفعيل سلوكيات ظلمة تتج عنها صرخة مظلوم ضاع حقه، أما أشد ما يلهب المشاعر ويقسرها على أن تذرف الدموع دماً، إذا رافق الصرخة نزع شريان وقطع وريد، لا لأجل ملك مضاع، أو منصب دنيوي مُرتقب، وإنما لأجل الإصلاح وإحقاق حق اغتصبه فاجر، ولأن إحقاق الحق مطلوب في مختلف الظروف وأن الطغاة والظالمين وراء سحقه وضياعه، فإن وجدان الإنسانية يبقى يستلهم من مواقف دعاة الحق والعدالة والإنصاف حافزاً لمقارعة الانحراف، وطمأنة المظلومين بأن في الأفق صيحة مبادئ سامية سيبقى دويهاً دائم الحدثان، لأنها انطلقت بفصاحة إمام معصوم في أجواء نشط فيها الفجور واستفحل في جنباتها الباطل، إنها الصيحة الخالدة التي ارتبطت كلماتها منذ ولادتها بالوجدان الإسلامي الذي تشرف باحتوائها واتخاذها نبراساً، لتنير الطريق في يوم تتلبد فيه الغيوم، لأن في كل عصر يوجد (يزيد) لا بد من أن يخرج عليه أحد، وعندها يحتاج داعي الحق إلى تلك القولة المبدئية المدوية:

(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).





بسم الله الرحمن الرحيم



التأييد الإلهي لزيارة الأربعين

الشيخ مكي فاضل

يوم الأربعين هو اليوم المخصص لزيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام إنه يوم مهيب وشعاراته تُدوّي في آفاق العالم وخلوده يتجدد في كل عام بل في الدهر كله والسر في تخليده واستمراريته هو «التأييد الإلهي»، لأنه يوم عظيم ونَحْسَب له الأمم والشعوب ألف حساب وقد فرض نفسه على الساحتين الإسلامية والعالمية لهيبته ومكانته الزمانية.. وفي يوم العشرين من شهر صفر في كل عام تخرج الجماهير الولائية تُقدّر بالملايين في مواكب حاشدة تهزّ الأرض بأقدامها وتزلزل العالم بذلك الدويّ الممتزج بالبكاء والعيول على السبط المظلوم الشهيد عليه السلام الذي مازال دمه يغلي في صدور المحبّين والموالين، وحمرة عشقه تتدفّق في شرايين قوافل العاشقين المعزّين من الأجيال السابقة واللاحقة.

ماذا يرى العالم في يوم زيارة الأربعين؟؟

إنه يرى أمواجاً بشرية متلاطمة تزحف زحفاً نحو كربلاء وهم يسندون إلى صدورهم الرايات الملونة بالأسود والأخضر والأحمر، والكثير من هذه الشعارات والأشعار الحسينية الخالدة يحفظها الكبير والصغير من شيعة وأتباع أهل البيت عليه السلام وهم يهتفون بلوعة المصاب المدمي وهم في جزع ولطم وكآبة وعيول يقولون:

لوقطّعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيّدي يا حسين

يوم تجديد العهد للإمام الشهيد عليه السلام

ومن عظمة تخليد يوم أربعينية سيد الشهداء عليه السلام والألطف الرّبّانية التي حظيت بها أن الله تعالى أفرد لهذه الزيارة المقدّسة مساحة عاطفية في أفئدة المؤمنين فأخذوا يواظبون عليها رغم قساوة الظروف وتقلّب الأحوال، فأصبحت الملايين من الناس تتقاطر وتتوافد وتتجسّم العناء بانجذاب إلى إحياء هذه الشعيرة بلهفة وشوق، حيث أنك تلاحظ في كل أنحاء المعمورة تلك الحسينيات وقد لُفّت بالسّواد لتخليد هذه الذكرى الأليمة، ثم تعود قوافل المعزّين إلى المواكب العزائية من جديد بعد مُضيّ أربعين يوماً

على ذكرى عاشوراء لتجديد العهد والبيعة للإمام المعصوم المظلوم الشهيد فيكون لهذا المشهد الولائي الحسيني صدى يتأثر بمشاهدته حتى غير المسلمين وهذا هو قمة الدعم «المعنوي الإلهي» لتخليد ذكرى أبي عبدالله الحسين عليه السلام الذي لا يضاهيه يوم في التاريخ ولا يفوق عليه أي حدث مؤثر مهما كانت فضاغته على وجه الأرض.

ولهذا اطرّدت عادة الشيعة على تجديد العهد بتلكم الأحوال يوم الأربعين من كل سنة ولعل رواية أبي جعفر الباقر عليه السلام: (إنَّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلع حمراء وتغرب حمراء)^(١). تلميح إلى هذه العادة المألوفة بين المحبين والزائرين، فالحسين عليه السلام حيٌّ لا يموت في ضمير ووجدان محبيه وستندفع الأجيال تلو الأجيال لإحياء مبادئ ثورته المظفّرة والبكاء عليه.

وصدق الوحي حينما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: (يخلق الله له شيعة تحيي ذكره جيلاً بعد جيل) ويومذاك تهلل وجه النبي صلى الله عليه وآله فرحاً وخفف من بكائه على سبطه الشهيد المذبوح.. وفي خبر آخر قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام: (يخلق الله له شيعة يبكون عليه إلى يوم القيامة).

ومن الأمور المبدئية المعنوية الظاهرة التي تدعم وتعزّز المواعب العزائية في يوم الأربعين وفي زيادة مذهلة وباستمرار هو هذا الحديث الولائي المروي عن الإمام علي عليه السلام حيث قال: (إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاخترنا واختار لنا شيعة ينصروننا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منّا وإلينا)^(٢).

لا ينطفئ نور الإمام الحسين عليه السلام

إن حقائق التاريخ بيّنة وواضحة مثل وضوح الشمس في رابعة النهار، والمتتبع لهذه

(١) مقتل الحسين للسيد المقرم: ص ٣٦٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ٢/ ٢٠٧.

الحقائق التاريخية يرى بأمّ عينه الظلم الذي وقع على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وعلى أتباعهم وشيعتهم، فكانوا يترصدون زوار قبر الحسين عليه السلام في كل مكان ويوقعون بهم الأضرار والأذى منذ عهد بني أمية وبني العباس إلى هذا اليوم..

فكم وحكم حاول الجبابرة والطغاة أن يذثروا قبر الحسين عليه السلام ويمحوه من الوجود ويخفوا عن الناس معلمه وأثره ولكنّ مشيئة الله عز وجل وإرادته اقتضت أن يخلد هذا الضريح الطاهر ويظهر معالمه وعظمته وقدسيته للعالمين، وقد جعله مناراً وكعبة للوافدين والزائرين من كل أقطار الدنيا، وجعله حرماً آمناً رغم جور الجائرين وبغي الظالمين؛ لأنّ الحسين عليه السلام يمثل نورانية الله في أرضه لذلك يأبى الله إلا أن يبقّي هذا النور في وليّه لكي ينير حياة الإنسانية، قال تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، ونور الله هو الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وأحيى به الأمة بعد الموت وكذلك هذا النور تجلّى في شخصية سبطه وحبيبه سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام وأحيى به ضمائر الأمة وأيقظها وأنارها بنورانية الهدى والصلاح الذي أهرق من أجله دمه الطاهر وصبغت حمرة تراب كربلاء..

فمنذ ذلك العهد حاول بنو أمية إطفاء هذا النور وكانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام ممنوعة وتخضع لرقابة شديدة واستمر هذا السلوك المتطرف المنحط إلى عهد الحكام العباسيين بل إنهم فاقوا على الأمويين فضيقوا الخناق على شيعة أهل البيت أكثر، وعلى رأس هرم أولئك الطغاة هو هارون الرشيد العباسي الذي أمر بقطع شجرة السدرة التي كان يستظل بها زوار الحسين عليه السلام عن حرارة الشمس^(٤)، وكذلك جرى هذا الحال على عهد المتوكّل العباسي حيث بلغ المنع والتشدد ذروته.

(٣) التوبة: ٣٢.

(٤) تاريخ الشيعة للمظفر. نقلاً عن بحار الأنوار ٤٥: ٣٩٨.

بلغ المتوكل أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قواده وضم إليه عدداً كثيفاً من الجند لنش قبر الحسين عليه السلام ومنع الناس من زيارته والاجتماع إلى قبره، فخرج القائد إلى الطف وعمل بما أمر به، وذلك في سنة ٢٣٧ هـ، وفي موسم الزيارة تجمع الناس مرة أخرى وثاروا ضد عناصر الخليفة وقالوا لهم: لو قُتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته، فلما وصل الخبر إلى المتوكل أبرق إلى قائده بالكف عنهم، والمسير إلى الكوفة مظهراً أن مسيره إليها في صالح أهلها^(٥).

أنشأ المتوكل العباسي نقطة عسكرية فاصلة أي (حاجز) قرب كربلاء وأمر أتباعه بقتل كل من يأتي لزيارة الحسين عليه السلام..

وهُدم قبر الحسين عليه السلام بأمر من المتوكل سبع عشرة مرة، وفي أحد الأيام أمر «دينج اليهودي» بهدم القبر وتغيير موضعه وتبديل معلمه، وحتى أنه ذهب بنفسه هو وغلماناه ونبشوا القبر حتى بلغوا الحصير الذي فيه جسد الإمام وإذا به تفوح منه رائحة المسك، فهاهوا عليه التراب ثانية وقطعوا الماء وأرادوا حراثة الأرض لكن الأبقار التي تجر المحراث وقفت عن المسير^(٦).

إن الذي استوقفني ولفت نظري في هذه الرواية التاريخية، أن الله تعالى شاءت قدرته وعنايته الربانية أن يظهر كرامات الإمام الحسين عليه السلام إلى ألد خصومه وأعدائه لكي يكفوا ويرتدعوا عن تصلبهم وتشددهم وتطرفهم وسلوكهم الأرعن ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الكرام ولكن الشيطان أعمى بصرهم وبصائرهم وتمادوا في ضلالهم وطغيانهم وجثم هذا الضلال على قلوبهم إلى يوم الدين ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

(٥) المنتهى: ٢٤١ و ٢٤٠.

(٦) بحار الأنوار ٤٥: ٤٠٤ و ١٩٤.

وقد استمر هذا الحال من السطو والعدوان الى عهد سلطة الوهابيين وغارتهم على كربلاء وهدم المرقد الشريف، وهذه تنم بأجمعها عن مدى الحقد الدفين الذي يضمه هؤلاء الأصلاف على سيد الشهداء وعلى زواره والباكين على مصابه. لقد كانت كل هذه الأعمال العدائية والإرهابية الدامية لغرض تفريق الناس عن مهد الدفء والشوق، ولكن لم يدم لهم ذلك العبث طويلاً، بل ازداد الناس شوقاً إلى زيارة الحبيب أبي عبدالله الحسين عليه السلام حتى ولو كانت الطرق المؤدية لزيارته مزروعة بالأشواك، فأصبحت كربلاء خندقاً للمقاومة وقبلة لأهل الحقيقة والولاء والعزاء.

كم حاولوا قتل الحسين بذاتي أوما دروا أن الحسين حياتي
هو صرخة هو دمعة أجريتها سالت على الخدين بالزفرات

علامة المؤمنين زيارة الأربعين

ومن جملة التأييد الرباني والمدد الإلهي لزيارة الأربعين أنها أصبحت علامة بارزة من علامات الإيمان، معنى ذلك أنك إذا رأيت إنساناً يواظب عليها فاعلم يقيناً أن هذا الإنسان قد بلغ مبلغاً من الإيمان وبالتالي هذه العلامة الإيمانية تكون ظاهرة على الأغلب الأعم في شخصيات أحباب الحسين عليه السلام وأودائه وهي مرتبة راقية.. فقد وردَ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم) ^(٧). من المؤكّد عند الإمامية أن يوم الأربعين وهو يوم العشرين من صفر في سنة ٦١ للهجرة رُدت رؤوس شهداء الطف إلى كربلاء، وقد ردها الإمام زين العابدين عليه السلام وألحقها بالأجساد بعد ورودهم إلى كربلاء، ومنذ ذلك الحين بدأت زيارة الأربعين بقدم أهل البيت عليهم السلام وجابر بن عبدالله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) ومجموعة

من قبيلة بني أسد.

ومن المعلوم لدى جميع المسلمين أن جابر صحابي جليل من صحابة رسول الله ﷺ الكبار، ومن ثقات رواة حديثه، هذا الرجل كان يعرف حق المعرفة وهو متيقن تمام اليقين أن التربة التي ضُمَّت جسد الحسين عليه السلام قد ضُمَّت أسرار النبوة والإمامة والعصمة، وأن بقعة كربلاء هي أشرف وأطهر بقعة وتربة على وجه الأرض، لما فيها من المميزات التي ميزتها عن غيرها من بقاع الأرض. وأكبر ميزة أنها اختارها الله لوليه وحجته سبط رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة.

عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال: (خلق الله تبارك وتعالى أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وقدّسها وبارك عليها فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة وأفضل منزل ومسكن يسكن الله فيه أوليائه في الجنة)^(٨).

لذلك كان الصحابي جابر (رضوان الله تعالى عليه) قد تجشّم عناء المجيء يوم الأربعين إلى أرض كربلاء المقدسة ويفرد لحبيبه الحسين عليه السلام زيارة خاصة ويمرغ جبهته وخديه على تراب قبر أبي عبد الله الحسين ويبيكي، وهو كما ورد في بعض الروايات أول زائر وفد إلى الزيارة وهو عارف بحق غريب كربلاء أرواحنا له الفداء^(٩).

نعم شاء الله سبحانه وتعالى لوليه الإمام الحسين عليه السلام أن يكون مقصداً للزائرين وملاذاً للسائلين وأن يكون كهفاً وموطناً للداعين ولقضاء حوائج المحتاجين.

وقد جعل الله سبحانه وسائط عديدة ومتفاوتة فمنها طبيعية ومنها غيبية، فجعل الشفاء في تربة مولانا سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام كما ورد في الروايات الشريفة:

(٨) كامل الزيارات: ص ٢٦٨.

(٩) موسوعة العتبات المقدسة: ٢٥٧/٨.

«...جعل الله الشفاء في تربته واستجابة الدعاء عند قبته»^(١٠).

وهذا ما يفسر لنا مدى «التأييد الإلهي» لزيارة الأربعين فهذه الجماهير المليونية اليوم والتي تزيد عاماً بعد عام لزيارة سيد الشهداء عليه السلام محاولة منها للتعبير ولسان حالها يقول: إن مبادئ وأهداف الثورة الحسينية بدأت يوم عاشوراء ونضجت في يوم الأربعين.

قم جدد الحزن في العشرين من صفر ففيه ردت رؤوس الآل للحفر
يا واردي كربلا من بعد رحلتهم عنها إلى بقع التهتك والشهر
يا زائري بقعة أطفالهم ذبحت فيها خذوا تربها كحلاً إلى البصر

(١٠) وسائل الشيعة/ ج ١٤/ باب ٣٧ تأكد استحباب زيارة الحسين عليه السلام / ص ٤٢٣/ ح ١٩٥٠٩.





سَيِّدَةُ زَيْنَبُ



السيدة زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد

السيد محمد كاظم القزويني

دار الإمارة: كانت دار الإمارة في الكوفة - قبل حوالي عشرين سنة من فاجعة كربلاء - مقراً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكانت السيدة زينب عليها السلام تعيش في ذلك المكان في ظل والدها أمير المؤمنين عليه السلام، وهي في أوج العزة والعظمة، وفي جوٍّ مملوء بالعواطف والاحترام، فيما بين إختوتها وذويها.

أما بعد عشرين سنة، أصبحت دار الإمارة مسكناً للدّعي بن الدّعي: عبيد الله بن زياد، وتبدلت معنويات دار الإمارة مائة بالمائة، فبعد أن كانت مسكن أولياء الله، صارت مسكن ألد أعداء الله. واليوم دخلت السيدة زينب إلى دار الإمارة، وهي في حالة تختلف عما مضى قبل ذلك. ذكر الشيخ المفيد في كتاب (الإرشاد) ما يلي:

ثم إن ابن زياد جلس في قصر الإمارة، وأذن للناس إذناً عاماً، وأمر بإحضار رأس الإمام الحسين عليه السلام فأحضر ووضع بين يديه، وجعل ينظر إليه ويتبسم، وكان بيده قضيب فجعل يضرب به ثناياه!! وكان إلى جانبه رجل من الصحابة يقال له: «زيد بن أرقم» وكان شيخاً كبيراً، فلما رآه يفعل ذلك قال: «إرفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت ثنايا رسول الله ترشف ثناياه»^(١) ثم انتحب وبكى! فقال ابن زياد: أتبكي؟ أبكى الله عينيك، والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لأضربن عنقك، فنهض من بين يديه وصار إلى منزله^(٢).

وجاء في التاريخ: أن ابن زياد أمر بالسبايا إلى السجن، فحبسوا وضيق عليهم، ثم أمر أن يأتوا بعلي بن الحسين عليه السلام والنسوة إلى مجلسه^(٣).

ذكر الشيخ المفيد في كتاب (الإرشاد): «وأدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متكرة وعليها، فمضت حتى جلست ناحية

(١) وفي نسخة: لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ عليهما مالا أحصيه كثرةً يقبلها.

(٢) كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد، ص ٣٤٢، وكتاب «المنتخب» للطريحي ص ٤٦٤ - المجلس العاشر.

(٣) كتاب «أمالى الصدوق»، ص ١٤٠، وكتاب «روضة الواعظين» للفتال، ج ١ ص ١٩٠.

من القصر، وحقّت بها إماءها. فقال ابن زياد، من هذه التي انحازت ناحيةً ومعهما نساؤها؟! فلم تجبه زينب عليها السلام، فأعاد القول ثانيةً وثالثةً يسأل عنها؟ فقالت له بعض إماءها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أجدوثكم ^(٤).

فقالت زينب عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإننا نفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله.

فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟! ^(٥) فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتختصمون عنده ^(٦) فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة!!

فغضب ابن زياد واستشاط ^(٧)، فقال له عمرو بن حريث: أيها الأمير، إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها، فقال ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك. فرقّت زينب وبكت وقالت له: لعمرى لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت. فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، ولعمرى لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً ^(٨)، ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليهما السلام وقال له: من أنت؟ ^(٩)، فقال: أنا علي بن الحسين. فقال: أليس الله قد قتل

(٤) قال الزبيدي في «تاج العروس»: الأحدثة - بالضم - ما يتحدث به. قال ابن بري: الأحدثة: بمعنى الأعجوبة، يقال: قد صار فلان أحدثة. وقال الطريحي في «مجمع البحرين»: «الأحدثة: ما يتحدث به الناس».

(٥) وفي نسخة: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟»

(٦) وفي نسخة: فتجاج وتخاصم.

(٧) وفي نسخة: «فغضب وكأنه همّ بها»: أي: أراد ضربها أو قتلها.

(٨) وفي نسخة: هذه شجاعة ولعمرى لقد كان أبوها شجاعاً. كما في نسخة «تاريخ الطبري» ج ٥

ص ٥٧٤.

(٩) وفي نسخة: «من هذا؟»

علي بن الحسين؟ فقال علي عليه السلام: قد كان لي أخ يسمّى علي بن الحسين، قتله الناس. فقال ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد وقال: ولك جرأة على جوابي^(١٠) وفيك بقية للرد علي؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه. فتعلّقت به عمته زينب، وقالت: يا ابن زياد! حسبك من دماءنا. واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه، فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة، فقال: عجباً للرحم! والله إني لأظنها ودّت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به^(١١). ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهله فحُمِلوا إلى دارٍ جنب المسجد الأعظم، فقالت زينب بنت علي عليه السلام: «لا يدخلن علينا عريّة إلا أم ولد مملوكة، فإنهن سبين^(١٢)» وقد سبين^(١٣). في هذا الحوار القصير بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين القداسة والرجس، وبين ربيبة الوحي وعقيلة النبوة وبين الدعي ابن الدعي! انكشفت نفسيات كل من الفريقين.

أرأيت كيف صرح ابن زياد بالحق والعداء لأهل بيت رسول الله ﷺ والشهامة وبذاءة اللسان، وحقارة النفس ودناءة الروح، وقذارة الأصل؟ فهو يحمّد الله تعالى على قتل أولياء الله، وتدفعه صلافة وجهه أن يقول: «وفضحكم»، وليت شعري أية فضيحة يقصدها؟! وهل في حياة أولياء الله من فضيحة؟! أليس الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟! أليس نسبهم أرفع نسب في تاريخ العظماء؟! أليست حياتهم متألّثة بالفضائل والمكارم؟! ولكن ابن زياد يقول: «وفضحكم». ويزداد ذلك الرجس عتوّاً ويقول: «وأكذب أحدوثكم» والأحدوثة ما يتحدث به

(١٠) وفي نسخة: وبك جرأة لجوابي.

(١١) الإرشاد: للشيخ المفيد، ص ٢٤٣-٢٤٤، وكتاب الملهوف، لابن طاووس، ص ٢٠١-٢٠٢، وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٥٧.

(١٢) سبين: أسرن.

(١٣) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١١٨، والملهوف ص ٢٠٢.

الناس، من الشناء والكلام الجميل، والقرآن الكريم هو الذي يشني على آل رسول الله ﷺ فهل أكذب الله -تعالى عن ذلك علواً كبيراً-، القرآن الذي هو كلامه ﷺ؟!

والرسول الأقدس -الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى- قد أثنى على أهل بيته بالحق والصدق، فهل أكذب الله تعالى رسوله الأظهر، الذي هو أصدق البرية لهجة؟! وقد فرضت الضرورة على حفيدة النبوة، ووليدة الإمامة، ورضيعة العصمة أن تتنازل وتحيب عن تلك الكلمات الساقطة السافلة، فماذا جرى بعد ذلك؟ قال الشيخ المفيد في (الإرشاد): ولما أصبح عبيدالله بن زياد بعث برأس الحسين ﷺ فدير به أي (طيف به) في سكك الكوفة كلها وقبائلها.

فروي عن زيد بن أرقم أنه قال: مُرَّ بِهِ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى رَمَحٍ وَأَنَا فِي غُرْفَةٍ لِي^(١٤) فَلَمَّا حَازَانِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا»^(١٥)، فوقف -والله- شعري وناديت: رأسك -والله- يا ابن رسول الله أعجب وأعجب^(١٦). وذكر السيد ابن طاووس في كتاب (الملهوف)، قال الراوي: ثم إن ابن زياد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه: «الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وأشياعه، وقتل الكذاب بن الكذاب!!! فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى قام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي وكان من خيار الشيعة وزهادها، وكانت عينه اليسرى قد ذهب يوم الجمل، والأخرى يوم صفين، وكان يلازم المسجد الأعظم فيصلي فيه إلى الليل، فقال: يا ابن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله! أتقتلون أولاد النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟! فغضب ابن زياد وقال: من هذا المتكلم؟ فقال له: أنا المتكلم يا عدو الله!

(١٤) الغرفة: الحجرة المطلة على الطريق.

(١٥) سورة الكهف: الآية ٩.

(١٦) الارشاد: للشيخ المفيد، ص ٢٤٥.

أَتَقْتَلِ الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس، وتزعم أنك على دين الإسلام،
وا غوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار، لينتقموا منك ومن طاغيتك، اللعين بن
اللعين على لسان محمد رسول رب العالمين.

فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه، وقال: عَلَيَّ به، فتبادرت الجلاوزة
من كل ناحية ليأخذه، فقامت الأشراف من بني عمه، فخلّصوه من أيدي الجلاوزة
وأخرجوه من باب المسجد، وانطلقوا به إلى منزله.

فقال ابن زياد: اذهبوا إلى هذا الأعمى -أعمى الأزد، أعمى الله قلبه كما أعمى
عينه- فاتوني به.. فانطلقوا إليه، فلما بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل
اليمن ليمنعوا صاحبهم، وبلغ ذلك ابن زياد، فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد
بن الأشعث، وأمرهم بقتال القوم، قال الراوي: فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى قتل بينهم
جماعة من العرب، ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبدالله بن عفيف، فكسروا الباب
واقترحوا عليه، فصاحت ابنته: أتاك القوم من حيث تحذر! فقال: لا عليكِ ناوليني
سيفي، فناولته إياه، فجعل يذبّ عن نفسه ويقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر وبطلٍ جدلته مغاور

وجعلت ابنته تقول: يا أبتِ ليتني كنت رجلاً أحاصم بين يديك اليوم هؤلاء القوم
الفجرة، قاتلي العترة البررة، وصار القوم يدورون عليه من كل جهة، وهو يذب عن
نفسه فلم يقدر عليه أحد -رغم أنه كفيف-، وكلما جاؤوه من جهة قالت ابنته: يا أبتِ
جاؤوك من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به، فقالت ابنته: وا ذلّاه يحاط بأبي
وليس له ناصر يستعين به، فجعل يدير سيفه ويقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

فما زالوا به حتى أخذه، ثم حمل فأدخل على ابن زياد، فلما رآه قال: الحمد لله الذي

أخزأك، فقال له عبدالله بن عفيف: يا عدو الله وبهاذا أخزاني الله؟!

والله لو أُفْرِجَ لي عن بصري ضاق عليك موردِي ومصدرِي

فقال له ابن زياد: ماذا تقول -يا عبدالله- في أمير المؤمنين عثمان بن عفان؟ فقال: يا عبدبني علاج، يا ابن مرجانة، وشتمه، ما أنت وعثمان بن عفان أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، والله تعالى ولّى خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق، ولكن سلني عنك وعن أبيك وعن يزيد وأبيه؟ فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصة بعد غصة.

فقال عبدالله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما أنا قد كنت أسأل الله ربي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أمك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألين خلقه، وأبغضهم إليه، فلما كُفَّ بصري يئست من الشهادة، والآن.. الحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرفني الإجابة بمنّهِ في قديم دعائي، فقال ابن زياد: اضربوا عنقه. فضربت عنقه وصلب في السبخة^(١٧) (١٨).

(١٧) السبخة: اسم موضع في الكوفة.

(١٨) كتاب (الملهوف) للسيد ابن طاووس: ص ٢٠٣-٢٠٧.



عَلَيْهِ السَّلَام



الشام ومناحتها على الإمام الحسين عليه السلام

السيد صالح الشهرستاني

سارع عبيدالله بن زياد لعنه الله بالكتابة الى يزيد لعنه الله بن معاوية في الشام يعلمه بمصرع الإمام الشهيد عليه السلام ووصول سباياه ورؤوس الشهداء الى الكوفة، فأجابه يزيد بالإسراع في إيفاد الأسرى من السبايا مع الرؤوس إليه، فبادر ابن زياد حالاً بإرسال ركب الأسرى والسبايا والرؤوس الى الشام. فبعث الرؤوس مع زجر بن قيس، وأرسل السبايا أثر الرؤوس مع مخفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن.

ولم يكد هذا الركب الحزين يصل الى العاصمة الأموية إلا وعمت النياحات وأساطها عليه، كما كانت قد عمت الأوساط الكوفية وسائر المدن والنواحي والقصبات التي مرّ بها هذا الركب المفجع. ولقد تناقلت الروايات وصف هذه المناحات في الشام، فأنقل منها بعض ما يلي:

١. جاء في الجزء «١: ١٤٣» من كتاب «المجالس السنية» ما نصه: «إنه عندما أدخل ثقل الحسين عليه السلام وسباياه ونساؤه على يزيد بن معاوية في الشام، وهو بين حاشيته وأعيانها ووجهائها، وهم مقرّنون في الحبال، والإمام زين العابدين عليه السلام مغلول. قال الإمام عليه السلام مخاطباً يزيد: أنشدك الله ما ظنك برسول الله لو رآنا على هذه الصفة؟ فلم يبقَ في القوم أحد إلا وبكى. فأمر يزيد بالحبال فقطعت، وأمر بفكّ الأغلال عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

ثم وُضعَ رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد الذي أجلس النساء خلفه لئلا ينظروا إليه، فجعلت فاطمة وسكينة بنتا الإمام الحسين عليه السلام يتناولان لينظرا الرأس، وجعل يزيد يتناول ليستر عنهما الرأس. فلما رأين الرأس صحن، فصاحت نساء يزيد، وولولت بنات معاوية، فقالت فاطمة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فبكى الناس، وبكى أهل داره حتى علت الأصوات...».

وكانت هذه أول مناحة عامة على الحسين عليه السلام وأهله وآله وصحبه تقام في الشام، إذ أن الروايات تفيد بأن يزيد أمر بأن تقام للسبايا والأسرى دار تتصل بداره،

وكانوا طيلة مدة مقامهم في أيامهم الحزينة بالشام ينوحون على الحسين في سرهم وعلنهم، هذا ولم تكن بنات آل البيت والهاشميات وخدمهن الباقيات بل واستهن نساء بني أمية بدموعهن، فلم تبقَ أموية إلا وأخذت تبكي وتنوح على الحسين عليه السلام وسباياه.

٢. جاء في كتاب «أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام» لمؤلفه عمر كحالة، عند بحثه عن مجلس يزيد في الشام وحضور السبايا فيه. قوله: «ثم أخرجهن فأدخلهن دار يزيد بن معاوية، فلم تبقَ امرأة من آل يزيد إلا أتهن وأقمن على الحسين المناحة ثلاثاً...»^(١).

٣. وصف السيد عبدالعزيز سيد الأهل في مؤلفه: «زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام» كيفية وصول الإمام عليه السلام ومعه السبايا إلى الشام وصعود الإمام المنبر ليخطب في الناس، ثم يقول: «وجعل علي بن الحسين يخطب ويفتخر بأهل بيته ويسميهم بأسمائهم فرداً فرداً، ويذكر فضائلهم وأيادهم على الملة والناس، وما زال يقول ويطنب حتى بكى الناس وانتحبوا، وتحركوا أو كادوا. فكان أيضاً أول انتخاب....».

٤. جاء في «موسوعة آل النبي» عند ترجمة الرباب بنت امرئ القيس بن عدي زوجة الإمام الحسين عليه السلام التي توفيت سنة ٦٢ هـ، والتي كانت ضمن أسرى ركب سبايا الحسين عليه السلام إلى الكوفة وفي الشام والمدينة: «إنها -أي الرباب- قد أنشدت هذين البيتين عندما أخذت رأس الحسين عليه السلام وقبلته ووضعت في حجرها:

واحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصده أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء

وكانت هذه السيدة الجليلة لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً من البكاء على الحسين عليه السلام ولم

تستظل تحت سقف حتى ماتت بعد سنة كاملة...».

٥. وفي الجزء «١: ١٤١» من «المجالس السنية» عند وصفه كيفية وصول السبايا الى درج باب المسجد الجامع في الشام، قال المؤلف ما عبارته: «جاء شيخ وأخذ يشتم النساء والسبايا، جابهه الإمام زين العابدين بتعريف السبايا وبذكر بعض آيات القرآن الكريم، وقال له: نحن هم الذين أشار اليهم القرآن، فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه الى السماء وقال: اللهم إني أبرأ اليك من عدو آل محمد. ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال له الإمام عليه السلام: نعم إن تبت تاب الله عليك، وأنت معنا، فقال: إني تائب. فبلغ يزيد ذلك فأمر به فقتل...».

٦. في الجزء «١: ١٤٩» من «المجالس السنية» عند وصف صعود الإمام زين العابدين المنبر في الشام وإلقائه خطبة موجزة جاء ما نصه: «فلم يزل يقول الإمام: أنا، حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام...».

٧. جاء في الصفحة «٧٤٦» من «موسوعة آل النبي» في وصف مثول السبايا بين يدي يزيد ما نصه: «فهمّ يزيد أن يتلو الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الشورى: ٣٠.. لكنه ما لبث أن سكت، فقد كان صراخ النسوة يُسمع من بعيد، فاجعاً مؤثراً، عالي الرنين. ولم تكن بنات بني هاشم وحدهنّ الباقيات بل واستهنّ نساء بني أمية بدموعهن. فلم تبقَ من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، وأقيمت المناحة ثلاثة أيام وصلاً ثم أمر يزيد فجهّزّن للسفر إلى المدينة في صحبة حارس أمين، معه خيل وأعوان».

٨. في الصفحة «١٤٧» من كتاب «نهضة الحسين» عند الحديث عن اختتام مثول السبايا والأسرى بين يدي يزيد، يقول مؤلفه الجليل ما لفظه: «هنا، وفي هذه الساعة انطفأت جذوة الانتقام التي كان لهيباً يستعر في صدر يزيد من قبل. وهنا

خاتمة المصائب. هنا أذن يزيد لأهل البيت النبوي بإقامة العزاء لفقد سيدهم ليالي وأياماً، وعلّت من بيوت يزيد ونسوته أصوات البكاء والعويل كحمايات الدوح يتجاوبن مع النوادب من آل الرسول على سيد شباب أهل الجنة».

٩. جاء في الصفحة «١٤٢» من «المجالس السنية» ما عبارته: «روي أن بعض فضلاء التابعين وهو خالد بن معدان لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد أن فقدوه وسألوه عن سبب ذلك فقال: ألا ترون ما نزل بنا؟ ثم أنشأ يقول:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متمرّلاً بدمائه ترميلاً
وكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاً ولما يرقبوا في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قُتِلَتْ وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلاً^(٢)

١٠. ورد في الصفحة «١٥٣» من كتاب «إقناع اللائم» ما عبارته: «وفي العقد الفريد^(٣) عن المدائني بسنده عن الحسن البصري قال: قُتِلَ مع الحسين ستة عشر من أهل بيته والله ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم، وحمل أهل الشام بنات رسول الله سبايا على ظهور الإبل، فلما أُدخِلوا على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، أبناات رسول الله سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت: فدخلت اليهن فما وجدت فيهن سفينية إلا متلدمة تبكي. وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه:

عيني ابكي بعبرة وعويل واندي إن ندبت آل الرسول
سنة كلهم لصلب علي قد اصبوا وخمسة لعقيل

(٢) اللهوف في قتل الطفوف: ٧٦.

(٣) العقد الفريد: ١٣٢ / ٥.

١١. جاء في الصفحة «٣٥٦» من تاريخ الطبري المجلد الرابع، عند ذكره وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد في الشام ما نصه: «وقيل^(٤): إن هنداً بنت عبد الله بن عامر زوجة يزيد سمعت بما يدور في مجلس زوجها فتقنعت بثوبها وخرجت، فقالت: يا أمير المؤمنين رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم، فأعولي عليه وحدي^(٥) عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله...».

١٢. جاء في الصفحة «٢١١» من «إقناع اللائم» عند بحثه عن أفراح عاشوراء لدى بعض الفرق وخاصة في الشام قوله: «والصحيح أن الذين سنوها هم بنو أمية كلهم وأتباعهم من زمن يزيد لا خصوص الحجاج. ولما دخل سهل بن سعد الصحابي الشام رآهم قد علّقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول. فقال في نفسه: ترى لأهل الشام عيداً لا نعرفه؟ ثم علم أن ذلك بسبب دخول رأس الحسين عليه السلام، فعجّب لذلك».

(٤) في المصدر هكذا: (قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت).

(٥) في المصدر زيادة (على ابن بنت رسول الله ﷺ وصریحة قريش).





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الطغاة وأساليب المساومة والتركيعة

أحمد جويد

جرت العادة عند الملوك والحكام الطغاة بأن يكون كل شيء تحت سلطانهم وبإمرتهم ولا صوت يعلو على صوتهم، هذا الأمر جعلهم يبحثون عن كل شخص من الممكن أن يكون مقرباً ومحبباً لدى الناس وبخاصة إذا كان هذا الشخص من الصالحين ويشارك عامة الناس همومهم ويساهم في حل مشاكلهم، فيكون البحث عن الصالحين ليس لغرض طلب المشورة والرأي أو المساهمة في بناء الدولة، وإنما لغرض التضييق عليهم وعزلهم عن محيطهم الاجتماعي لأن الحاكم لا يريد لأي أحد أن يلتف حوله الناس سوى شخصه، فيتبع بذلك أساليب عديدة للتفريق بين الصالحين وعامة الناس في المجتمع ومن بين هذه الأساليب هي:

الأسلوب الأول: التخويف؛ ويتم عن طريق التهديد والوعيد والزج في السجون وهذا يستخدم مع الصالحين من عامة الناس والذين يخشون البطش وانتهاك حرمة العوائل.

الأسلوب الثاني: الإغراء بالأموال؛ ويأتي بعد مرحلة التلويح بالتخويف والتهديد أو بدونها، وهو ما يمكن أن نطلق عليه أسلوب الترغيب بالأموال والمنافع المادية، لمن يظن الحاكم أنه يشتري بالأموال، وهم وجهاء القوم ومن لديهم نفوذ اجتماعي.

الأسلوب الثالث: الإغراء بالمناصب؛ وهو حالة متقدمة على الإغراء بالأموال يتم التلويح بها لمن يظنه الحاكم أنه صاحب حق ولا يسكت عن حقه وذلك من أجل الاحتواء ثم الالتفاف عليه من بعد ذلك ليكون فريسة سهلة بيد الطاغية إذا فكر هؤلاء بتقويض حكمه.

الأسلوب الرابع: وهو آخر شيء لدى الطغاة لكنه أسهل الأساليب الثلاثة المتقدمة وهو أسلوب التصفية الجسدية، ويستخدم أغلب الأحيان ضد الأشخاص الذين لا يأبهون بالأموال ولا يخشون الموت.

فالمنهج الذي تم إتباعه وعلى مدى التاريخ من قبل الطغاة لا يخرج عن أحد الأساليب

الأربعة في التعامل مع من يعارض حكمهم ويدعو إلى الإصلاح في المجتمع، والمتتبع لهذه الأساليب بأجمعها يجدها قد استخدمت من قبل حكام بني أمية قبيل وأثناء موقعة كربلاء، فما كان ليزيد بن معاوية أن يستخدم الأسلوب الأول مع الإمام الحسين عليه السلام لأنه يعرف جيداً أنه ليس ممن يخشى التهديد والوعيد، وما كان له أن يستخدم الأسلوب الثاني معه بإغرائه بالأموال لعلمه إن الحسين عليه السلام ليس ممن يطلب المال ولا حاجة له به لا من يزيد ولا من غير يزيد، لكنه فكر في الأسلوب الثالث وهو التلويح له بالمنصب أو توليته على بعض الأمصار مع سابق علمه إن الحسين عليه السلام لا يطمع بمنصب أو رئاسة، ولمعرفة يزيد بمنهج الإمام الحسين عليه السلام في الإصلاح، جعله يعد العدة لاستخدام الأسلوب الرابع ليس فقط لإزاحته عن حقه في الخلافة، بل محاولة لتركيع أهل البيت عليهم السلام أو أي شخص من آل النبي صلى الله عليه وآله قد يفكر في تولي زمام أمور المسلمين مستقبلاً.

وقد وضع الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه هذا المعنى بالقول: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر».

وقد أنتج ذلك الموقف الكبير الرعب داخل نفوس الطغاة في كل زمان ومكان يجمع فيه طاغية وذكر الحسين عليه السلام، وبذلك صار أتباع أهل البيت وعشاق الحسين عليه السلام هدفاً للطغاة، ومطاردين من قبل السلطات الطاغية الحاكمة على مر العصور وبالاختصاص ممن ينصبون العداوة والبغضاء لأهل هذا البيت إلى يومنا هذا بطرق وأساليب مختلفة كان أبسطها هدم البيوت ودور العبادة التي تروج لفكر الحسين عليه السلام ومنهجه ومشروعه الإصلاحية، فما حصل في العراق من هدم وتفجير واستهداف لأضرحة الأئمة وزوار العتبات المقدسة، وما يحصل اليوم في بعض البلدان من هدم للحسينيات ومحاكم

جائرة وفصل من الوظيفة وزج في السجون هي نفس الأساليب التي اتبعها بنو أمية في محاولاتهم لمساومة وتركيع أصحاب الحسين عليه السلام وثنيهم عن موقف الحق.

فحينما رأى الحسين بن علي عليه السلام إن الرسالة السماوية سوف تتعرض إلى خطر الانحراف نتيجة حب السلطة والرياسة من قبل بني أمية، كان لزاماً عليه وانطلاقاً من واجبه الشرعي أن ينهض بالامة للتصدي إلى مثل هكذا مشروع، وحقيقة تلك النهضة، هي طلب الإصلاح في أمة تسلطت عليها أشرارها وأقصيت خيارها وسادها الباطل، وهذا صراع مستمر بين الاستقامة والانحراف، بين الحق والباطل، بين المبدأ واللامبدأ، فعلينا أن نلتزم دائماً جانب الحق والخير والفضيلة في هذا الصراع، مهما كانت الضغوط والأساليب التي يتبعها الحكام سواء كانت أساليب ترغيب أو ترهيب.

إن خروجه عليه السلام بأهل بيته الكرام جاء للوقوف بوجه أتباع العقيدة الأموية القائمة على تحويل الدين إلى سلعة ووسيلة للوصول إلى غايات دنيئة تأخذ في حسابها سياسة الربح والخسارة من دون إقامة أي وزن للتعاليم الروحية وللمبادئ الأخلاقية السامية التي جاءت بها الرسالة السماوية وأرادت أن يتحلى بها كل إنسان على وجه البسيطة، لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام كما يقول المرجع الديني الراحل السيد محمد الشيرازي رحمته الله: أن ينتشل الأمة من الحضيض الذي أركست فيه إلى العز، وذلك عندما رضيت الأمة الإسلامية بواقعها المتردي، المتمثل بالخمول، والركون إلى الدنيا، والسكوت على الظلم، وتسلط الظالمين من أمثال يزيد وأبيه، فأراد الإمام الحسين عليه السلام أن ييث روح الإيمان والحق فيها لتنهض من جديد، كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.





عَلَيْهِ السَّلَام



العلاقة بين الخشوع لله والحزن لمصاب الحسين عليه السلام

الشيخ حسين الراضي

العلاقة بين الخشوع لله والحزن لمصاب الحسين عليه السلام وطيدة جداً فإن الخشوع والخضوع والحزن والأسى ورقة القلب والبكاء لمصاب أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام راجع إلى ذكر الله والخشوع له وهو داخل في باب تعظيم الشعائر التي هي من تقوى القلوب، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج / ٣٢.

أسباب البكاء

إن البكاء على المصاب له أسباب عديدة قد تكون ظاهرة وقد لا تكون ظاهرة، فأما الأسباب الظاهرة:

١. علاقة الأبوة بين الطرفين: فإذا كان صاحب المصاب أباً فمن حق الابن أن يحزن على أبيه ويكي عليه وإلا عُدَّ مقصراً، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء / ٢٣، ومن الإحسان إليه هو الحزن والبكاء عليه. ولا شك أن الإمام الحسين عليه السلام هو أبو هذه الأمة بعد جده وأبيه وأخيه (عليهم أفضل الصلاة والسلام) فمن واجبنا الحزن عليه والبكاء على مصابه.
٢. علاقة الالتحام والجزئية: ويوجد التحام ووثام بين الإمام الحسين عليه السلام وبين جميع المؤمنين وبالأخص شيعته، وتعددت الروايات في هذا الجانب؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (شيعتنا منا، خلقوا من فاضل طيبتنا)^(١)، وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: (يا علي أنت مني وأنا منك روحك من روحي وطيبتك من طيبتني وشيعتك خلقوا من فاضل طيبتنا ومن أحبهم فقد أحبنا ومن أبغضهم فقد أبغضنا ومن عاداهم فقد عادانا ومن ودّهم فقد ودّنا...) ^(٢)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله

(١) الخصائص الحسينية ص ١٦٦، وفي الهامش عن الطريحي ص ٢٦٨.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٤ مجلس ٤، وفي البحار ج ٦٥ ص ٧.

تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا^(٣).

٣. إذا كان صاحب المصائب صاحب حق: كحق الإسلام وهو ثابت لكل مسلم على مسلم فكيف بمن أحيأ الدين بدمه الشريف ولولا الحسين عليه السلام لانطمست معالم الإسلام؛ فإنه ثار على الباطل لما رأى الدين في خطر عندما قام بنو أمية بنشر الفساد وأحلوا الحرام وحرّموا الحلال باسم الدين فجعلوا سبّ علي بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله جزءاً من الصلاة، وأظهروا للناس أنهم أئمة الإسلام، فمن حق من كان سبباً لهداية الأمة أن يُبكي ويُحزن عليه.

٤. إذا كان صاحب المصائب كبيراً في قومه وفي عشيرته، وأصابته مصيبة فإن القلب ينكسر عليه ويرقّ له وقد أثبت التاريخ لقادة الإسلام العظماء كيف أنهم عاملوا أعداءهم وكيف عفوا وصفحوا ورقّت قلوبهم على غير المسلمين وحتى على أعدائهم الذين قاتلوهم؟ وها هو النبي صلى الله عليه وآله يرمي بردائه إلى عدي بن حاتم كما في الكافي وغيره:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْعُلَوِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: (لَمَّا قَدِمَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَذْخَلَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بَيْتَهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ غَيْرُ خَصْفَةٍ وَوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ فَطَرَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ)^(٤).

ولذلك جعل الإسلام كرامة لبنات الملوك المأسورات بعد استرقاقهن الخيار لهن في اختيار الشخص الذي تريده ولا يُعرضن في الأسواق كما روى ذلك ابن شهر آشوب قال:

لما ورد بسبي الفرس إلى المدينة أراد عمر أن يبيع النساء وأن يجعل الرجال عبيد العرب

(٣) بحار الأنوار ج ٤٤، ص ٢٨٧، باب ٣٤- ثواب البكاء على مصيبيته.

(٤) الكافي ج ٢، ص ٦٥٩، باب إكرام الكريم....

وعزم على أن يحمل العليل والضعيف والشيخ الكبير في الطواف وحول البيت على ظهورهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله قال: (أكرموا كريم قوم وإن خالفوكم وهؤلاء الفرس حكماء كرماء فقد ألقوا إلينا السلام ورغبوا في الإسلام وقد أعتقت منهم لوجه الله حقي وحق بني هاشم فقالت المهاجرون والأنصار قد وهبنا حقنا لك يا أخا رسول الله فقال اللهم فاشهد أنهم قد وهبوا وقبلت وأعتقت فقال عمر سبق إليها علي بن أبي طالب عليه السلام ونقض عزمي في الأعاجم. ورغب جماعة في بنات الملوك أن يستنكحوهن فقال أمير المؤمنين عليه السلام خيروهن ولا تكرهوهن فأشار أكبرهم إلى تخيير شهر بانويه بنت يزدجرد فحجبت وأبت، فقيل لها أيا كريمة قومها من تختارين من خطابك وهل أنت راضية بالبلع فسكتت فقال أمير المؤمنين عليه السلام قد رضيت وبقي الاختيار بعد سكوتها إقرارها فأعادوا القول في التخيير فقالت لست ممن يعدل عن النور الساطع والشهاب اللامع الحسين عليه السلام إن كنت مخيرة فقال أمير المؤمنين عليه السلام لمن تختارين أن يكون وليك فقالت أنت، فأمر أمير المؤمنين حذيفة بن اليمان أن يخطب فخطب وزوجت من الحسين عليه السلام ^(٥).

٥. البكاء على صاحب الصفات الحميدة: فإن من أسباب البكاء على صاحب المصاب إذا كانت عنده صفات حميدة فإن الناس يأسفون لفقده سواء كان شجاعاً أو كريماً أو خدوماً للمجتمع أو ملازمته لذكر الله أو لجماله أو كماله، والصفات الحميدة كثيرة وكثيرة جداً وكلها قد اجتمعت في الحسين بن علي عليه السلام فهو أشجع أهل زمانه وأكرمهم وأعطفهم على الفقراء والمساكين وأكثرهم ذكراً لله، والحاصل، أن الناس تعلموا منه معالم دينهم ومكارم الأخلاق والتضحية والفداء، فهل من سقى ألف فارس من أعدائه مع خيولهم حتى رشفوها ترشيفاً، وكان هو عليه السلام بنفسه يباشر السقي مع أنه لو أراد أن يقتلهم بأكملهم لمنعهم الماء فقط، ولكن أبت

(٥) بحار الأنوار ج ٤٥، ص ٣٣٠ عن المناقب لابن شهر آشوب.

نفسه الطاهرة إلا أن يكون كريماً عطوفاً في وقت الشدة، هل يستحق من هؤلاء الأجلاف أن يقتلوه شرّاً قتلة؟ ألا يستحق أن يُبكى عليه..؟

٦. البكاء للتبعية: من المألوف أن الإنسان إذا رأى شخصاً يُبكى عليه تأثر هو تبعاً لهم وبكى، وقد تضافرت الروايات بل تواترت في البكاء على الحسين بن علي عليه السلام فقد بكى عليه جده رسول الله ﷺ وأبوه أمير المؤمنين عليه السلام وأمه الزهراء عليها السلام ومن جاء بعدهم من الأئمة والصالحين والمؤمنين بل كما تقدم بكى جميع الخلق حتى الحجر فهل يكون الحجر أقل قسوة من قلب الإنسان. ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٦) هذه هي بعض أسباب البكاء الظاهري.

أثر البكاء على الإمام الحسين عليه السلام في نفوس المسلمين

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شُعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج/٣٢، من أعظم الأهداف وأكبرها في الدين الإسلامي هو طرح تقوى القلوب، وكل ما يؤدي لتحقيق هذا الهدف يكون أمراً مقدساً ومرغوباً فيه حتى من الناحية الشرعية. إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام بمختلف أبعادها وعمقها هي في الحقيقة من أهم العوامل التي تؤدي إلى تقوى القلوب، كما أن عرض ثورة الإمام الحسين عليه السلام بأبعادها العقائدية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية والمأساوية والدعوة للتمسك بتلك الأهداف كل ذلك شعيرة من شعائر الله سبحانه التي تؤدي بالنتيجة إلى تقوى القلوب.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



عظمة العقيلة عليها السلام في المبادرة والاختيار

الشيخ حسن الصفار

قد يجد الإنسان نفسه في معمرة معركة لم يكن مختاراً للدخول فيها، وقد يصبح متورطاً في مشكلة فُرِضَتْ عليه دون قصد منه، ويحصل هذا غالباً بالنسبة للمرأة فبحكم تبعيتها للرجل أباً كان أو زوجاً أو ولداً، قد تجد نفسها محصورة في معركته دون سابق وعي أو اختيار من قبلها، فهل كان لحضور السيدة زينب عليها السلام ودورها في ثورة كربلاء شيئاً من هذا القليل؟.

بقراءة واعية لدور السيدة زينب عليها السلام ولمواقفها وكلماتها خلال أحداث الواقعة يتجلى للباحث أن السيدة زينب عليها السلام قد اختارت دورها في هذه الثورة العظيمة بوعي سابق وإدراك عميق، وأنها كانت المبادرة للمشاركة كما احتفظت بزمام المبادرة في مختلف المواقع والوقائع الثورية.

ويحدثنا التاريخ أن السيدة زينب عليها السلام هي التي قررت وأرادت الخروج مع أخيها الحسين عليه السلام في ثورته، مع أنها من الناحية الدينية والاجتماعية في عهدة زوجها عبدالله بن جعفر والذي كان مكفوف البصر، كما كانت ربّة منزلها والقائمة بشؤون أبنائها، وكل ذلك كان يمنع التحاقها بركب أخيها الحسين عليه السلام، لكنها قررت تجاوز كل تلك العوائق واستأذنت زوجها في الخروج مع أخيها، فأذن لها بذلك بل وأمر ولديّه عون ومحمد بالالتحاق بقافلة الثورة.

ولأن سفر الإمام الحسين عليه السلام كان مخفوفاً بالمخاطر فقد اقترح عليه شيوخ بني هاشم أن لا يصطحب معه أحداً من النساء والعيال، ولكن السيدة زينب عليها السلام كانت بالمرصاد لمثل هذه المقترحات التي تحول بينها وبين المشاركة في المسيرة المقدسة.

فهذا عبدالله بن عباس وبعد أن عجز عن إقناع الإمام الحسين عليه السلام بالعودة عن قرار الخروج الى الثورة يناقشه في حمل النساء والعيال معه قائلاً: إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإني لخائف أن تُقتل كما قُتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه^(١).

ومحمد بن الحنفية أخو الإمام الحسين عليه السلام طرح عليه نفس التساؤل بعدما أخبره الإمام الحسين بعزمه على الخروج قائلاً: (أتاني رسول الله وقال لي: يا حسين أخرج فإن الله شاء أن

(١) (حياة الإمام الحسين) باقر شريف القرشي، ج ٣، ص ٢٧.

يراك قتيلًا)، فتساءل محمد بن الحنفية: فما معنى حمل هؤلاء النسوة والأطفال وأنت خارج على مثل هذا الحال؟، وكان جواب الإمام على تساؤل هؤلاء المشفقين على مستقبل نسائه وعائلته أشد إثارة وغرابة حيث قال عليه السلام: «قد شاء الله أن يراهن سبايا»^(٢).

ويروي الشيخ النقدي أن السيدة زينب عليها السلام اعترضت على نصيحة ابن عباس للإمام بأن لا يحمل معه النساء: فسمع ابن عباس بكاءً من ورائه وقائلة تقول: يا ابن عباس تشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا هاهنا ويمضي وحده؟ لا والله بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟ فالتفت ابن عباس وإذا المتكلمة هي زينب عليها السلام^(٣).

وكما أن أصل اشتراكها في الثورة كان بقرارها الواعي، فإن أغلب مواقفها في ميادين الثورة كانت تنبثق من مبادراتها الوثابة الشجاعة فيه التي تهرع نحو أخيها الحسين عليه السلام حينما تَدَهَمُ المصائب والخطوب لتشاركه المواجهة. وهي في يوم عاشوراء تتحدى الآلام والظروف العصبية لتمارس دورها البطولي العظيم، مع أن بعض ما أصابها يكفيها عذراً للانشغال بأحزانها والابتعاد عن ساحة المعركة.

ثم وما الذي دفعها للخطابة أمام جمهور الكوفة؟، ومن كان يتوقع من مثلها خطابها الناري في مجلس يزيد بن معاوية؟ لقد كانت ظروف السبي والأسر، وطبيعة الخفارة والخدر لدى السيدة زينب عليها السلام، وأجواء الشماتة والعداء المحيطة بها في الكوفة والشام.. لقد كان كل ذلك أو بعض ذلك يكفي دافعاً نحو الانكفاء على الذات ومعالجة الهموم والحزن.. لكن العقيلة زينب عليها السلام تسامت على كل ذلك، وامتلكت زمام المبادرة مسيطرة على كل ما حولها من ظروف وأوضاع.

ولأنها كانت مختارة ومبادرة عن سابق وعي وتصميم، فإنها كانت تنظر الى ما واجهته من آلام ومأس قاسية تتصدع لها الجبال الرواسي، تنظر إليها بإيجابية واطمئنان، وتعتبرها ابتلاءً

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٣) زينب الكبرى، النقدي، ص ٩٤.

وامتحاناً إليها لأبد لها من النجاح فيه.

بل إنها وفي أشد المواقف وأفظعها تتضرع الى الله شاكراً حامدة آلاء نعمه، معلنة تقبلها لقضاء الله، واستعدادها لتحمل الأكثر من ذلك في سبيله، فحينما حدثت الفاجعة الكبرى بمقتل أخيها الحسين عليه السلام بعد قتل كل رجالات بيتها وأنصارهم خرجت السيدة زينب عليها السلام تعدو نحو ساحة المعركة تبحث عن جسد أخيها الحسين عليه السلام غير عابئة بصفوف الجيش الأموي المدجج بالسلاح، فلما وقفت على جثمان أخيها العزيز الذي مزقته السيوف، جعلت تطيل النظر إليه ثم رفعت بصرها نحو السماء وهي تدعو بحرارة ولهفة: «اللهم تقبل منا هذا القربان»^(٤).

إن ذروة المأساة وقمة المصيبة هو مورد للتقرب الى الله (تعالى) عند السيدة زينب.. وذلك هو قمة الوعي وأعلى مستويات الإرادة والاختيار، وحينما يسألها عبيد الله بن زياد أمير الكوفة وواجهة السلطة الأموية في مجلسه سؤال الشامت المغرور بالنصر الزائف قائلاً: كيف رأيت فعل الله بأخيك؟، فإنها تجيبه فوراً ومن أعماق قلبها بجرأة وصمود قائلة: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»^(٥).

وتختتم خطابها في مجلس يزيد بن معاوية بتأكيد رؤيتها الإيجابية لما حصل لها ولأهل بيتها من مصائب وآلام حيث تقول: «والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»^(٦).

فزينب عليها السلام لم تكن مستدرجة، ولم تجد نفسها متورطة في معركة فرضت عليها، بل اقتحمت ساحة الثورة بملء إرادتها وكامل اختيارها، وهنا تتجلى عظمة السيدة زينب عليها السلام.

(٤) (حياة الإمام الحسين)، باقر شريف القرشي، ج ٣، ص ٣٠٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٤٤.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٨٠.





عَلَيْهِ السَّلَام



المفاهيم التي تشتمل عليها زيارة الحسين عليه السلام

الشيخ ابراهيم الأنصاري

من مقتضيات ولوازم الإنسان لنيل كرامة من الله أن يتمسك بالحسين عليه السلام ويلتزم
بمنهجه ووصاياه، فهو من متطلبات البلوغ إلى المقام المحمود الذي وصل إليه الحسين عليه السلام
وهذا المقام هو مقام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء/ ٧٩.

١. مفاهيم اعتقادية:

(السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله،.. يا
مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخنة والأرحام المطهرة لم
تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك مدلهيات ثيابها وأشهد أنك من دعائم الدين
وأركان المؤمنين وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي وأشهد أن
الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا،
وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني
وخواتيم عملي وقلبي لقلبيكم سلم وأمري لأمركم متبع...) (البحار ج ١٠١ ص ١٩٧
رواية ٣٢ باب ١٨).

٢. مفاهيم أخلاقية:

(..اللهم اجعل ما أقول بلساني حقيقته في قلبي وشريعته في عملي اللهم اجعلني ممن
له مع الحسين عليه السلام قدما ثابتا وأثبتني فيمن استشهد معه...) (البحار ج ١٠١ ص ١٤٨
رواية ١ باب ١٨).

٣. مفاهيم سياسية:

(..لعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة خذلتك ولعن الله أمة خذلت عنك اللهم إني

أشهدك بالولاية لمن واليت ووالته رسلك وأشهد بالبراءة ممن برئت منه وبرئت منه رسلك اللهم العن الذين كذبوا رسلك وهدموا كعبتك وحرفوا كتابك وسفكوا دماء أهل بيت نبيك وأفسدوا في بلادك واستذلوا عبادك.. (البحار ج ١٠١ ص ١٤٨ رواية ١ باب ١٨).

٤. ثار الله:

وهناك مفهوم مهمٌ للغاية مشترك بين كثير من الزيارات وهو (ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور) فقد ورد ذلك في زيارة العيدين وعرفة وعاشوراء (السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره السلام عليك يا وتر الله الموتور في السموات والأرض) وفي زيارة عاشوراء (فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثأرك مع إمام منصور من أهل بيت محمد- صلى الله عليه وآله وسلم-). (وأسأله أن يبلغني المقام المحمود الذي لكم عند الله، وأن يرزقني طلب ثأري مع إمام مهدي ظاهر ناطق منكم). ومن خلال هذه الزيارات نستنتج الأمور التالية:

١. إنَّ مفهوم الثأر بعدما كان سائداً بين الجاهليَّة بشكل خاطئ ينبع من العصبية وحسَّ الانتقام والتشفي الشخصي والقبلي قد اكتسب صبغةً مقدَّسةً في الإسلام وذلك لأنَّه أضيف إلى الله سبحانه وتعالى (ثار الله).

٢. إنَّ الحسين (عليه السلام) هو ثار الله كما أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً ثار الله، ولكن ثار علي (عليه السلام) قد تجسَّد في ابنه الحسين (عليه السلام) فصار الحسين هو (ثار الله وابن ثاره).

٣. سيد الشهداء (عليه السلام) هو الوتر الموتور، وقال الفيروز آبادي: "الموتور هو الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه".

٤. من خلال التعابير الثلاثة وهي (ثار الله، ثأرك، ثأري) نستنتج أنَّ: ثار الله هو بعينه ثار الحسين (عليه السلام) وهو ثار المؤمن الموالي والتابع لسيد الشهداء (عليه السلام)، ولا تعارض

بينها حيث أن الثأر الإلهي قد تجلّى وظهر في الحسين عليه السلام ومن ثم في المؤمنين الذائنين في شخصية الإمام عليه السلام.

٥. إن طلب ثأر الحسين عليه السلام هو من الأرزاق الإلهية التي هي من مقتضيات ولوازم كرامة الله على الإنسان بالحسين عليه السلام، فهو من متطلبات البلوغ إلى المقام المحمود الذي وصل إليه الحسين عليه السلام وهذا المقام هو مقام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء/ ٧٩.

٦. إن الذي يطلب الثأر هو الإمام المهدي عليه السلام من ولد الحسين، وهو الإمام المنصور من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله.

وقد أشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء/ ٣٣.

عدم الإسراف في القتل:

لقد وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أحاديث في تأويل هذه الآية المباركة، منها:

• ما في بحار الأنوار نقلاً عن تفسير العياشي:

(عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً)، قال: هو الحسين بن علي عليه السلام قتل مظلوماً ونحن أولياؤه والقائم منا إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام فيقتل حتى يقال: قد أسرف في القتل وقال: المقتول الحسين ووليه القائم والإسراف في القتل أن يقتل غير قاتله إنه كان منصوراً فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصب رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً) (البحار، ج ٤٤، ص ٢١٨، رواية ٧ باب ٢٨. وأيضاً البحار، ج ٥١، ص ٣٠ رواية ٨ باب ٢. البحار، ج ٤٥، ص ٢٩٨، رواية ٧ باب ٤٥).

• في الكافي الشريف للكليني رحمه الله:

(علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحجال، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يُسرف في القتل) قال: نزلت في الحسين عليه السلام، لو قتل أهل الأرض به ما كان سرفاً) (الكافي، ج ٨، ص ٢٥٥، الرواية ٣٦٤ باب ٨).

قال العلامة المجلسي (ره): (ويحتمل أن يكون المعنى أن السرف ليس من جهة الكثرة، فلو شرك جميع أهل الأرض في دمه أو رضوا به، لم يكن قتلهم سرفاً، وإنما السرف أن يقتل من لم يكن كذلك وإنما نهي عن ذلك).

النفي لا النهي:

أقول: يظهر من هذه الروايات أن أئمتنا عليهم السلام كانوا يقرؤون الآية بالقراءة الخاصة بهم وهو (فلا يُسرف) نفياً لا «فلا يُسرف» نهياً، وقد أشار إلى ذلك العلامة المجلسي رحمه الله حيث قال: (فيه إيحاء إلى أنه كان في قراءتهم عليهم السلام «فلا يسرف» بالضم). ولا يخفى أن بين المعنيين فرقاً كبيراً، ونذكر القراءات المختلفة متواجدة في كثير من آيات القرآن وذلك لدى الفريقين، وهذا لا يعني تحريف الكتاب أصلاً، فتأمل في ذلك.

٧. يُستفاد من بعض الزيارات أن دم سيد الشهداء عليه السلام سكن في الخلد وقد اقشعرت أظلة العرش لدمه عليه السلام وبكت له الموجودات جميعاً بلا استثناء، كما تدل عليه الأحاديث الكثيرة المتواترة عند الخاصة والعامة، فالحسين عليه السلام قتل الله وابن قتيله.

دم الإمام الشهيد:

وهناك أحاديث دالة على أن دم الحسين عليه السلام ارتفع إلى السماء ولم ترجع منه قطرة واحدة.

- منها: (..ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح فلما امتلأت، رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة..) (بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٣ باب ٣٧).
- منها في خصوص الطفل الرضيع: (قال المفيد: دعا ابنه عبدالله قالوا: فجعل يقبله وهو يقول: ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدك محمد المصطفى خَصْمُهُم، والصبي في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه في حجر الحسين، فتلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه، ثم رمى به إلى السماء) (الإرشاد، ص ٢٢٤. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٦ باب ٣٧). قال الباقر عليه السلام: (فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض) (الملهوف، ص ١٠٣).





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رحلة آل رسول الله ﷺ إلى الشام

السيد محمد كاظم القزويني

قد جاء في كتب التاريخ: أن ابن زياد كتب إلى يزيد بن معاوية رسالة يخبره فيها بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأسر نسائه وعياله، وتفاصيل أخرى عن الفاجعة. فكتب يزيد في جواب رسالته: أن يبعث إليه برأس الحسين ورؤوس من قتل معه، والنساء الأسارى، فاستدعى ابن زياد «مفخر بن ثعلبة العائذي» و«شمر بن ذي الجوشن» للإشراف على القافلة ومن معها من الحرس، وسلم إليهم الرؤوس والأسرى، وأمر بـ«علي بن الحسين» أن تغلّ يديه إلى عنقه بسلسلة من حديد!!! فساروا بهن إلى الشام كما يسار بسبايا الكفار، يتصفح وجوههن أهل الأقطار^(١)!

السيدة زينب الكبرى عليها السلام في طريق الشام

لا نعلم -بالضبط- كم طالت المدة التي تم فيها قطع المسافة بين الكوفة والشام، ولكننا نعلم أنها كانت رحلة مليئة باللوعة والإرهاق وأنواع الصعوبات، فقد كان الأفراد المرافقون للعائلة المكرمة قد تلقوا الأوامر بأن يعاملوا النساء والأطفال بمتهى القساوة والفظاظة، فلا يسمحون لهم بالاستراحة اللازمة من أتعاب الطريق ومشاقه وصعوباته، بل يواصلون السير الحثيث، للوصول إلى الشام وتقديم الرؤوس الطاهرة إلى الطاغية يزيد.

ومن الثابت -تاريخياً- أنه كان للسيدة زينب عليها السلام الدور الكبير في: إدارة العائلة، والمحافظة على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام وحماية النساء والأطفال، والتعامل معهم بكل عاطفة وحنان.. محاولة منها ملء بعض ما كانوا يشعرون به من الفراغ العاطفي، والحاجة إلى من يهون عليهم مصائب الأسر ومتاعب السفر.

وروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها: الفرائض والنوافل.. من قيام، عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام! وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس! فسألته عن سبب ذلك؟ فقالت: أصلي النوافل من جلوس لشدة الجوع

(١) كتاب «الملهوف» ص ٢٠٨، و«الإرشاد» للشيخ المفيد ص ٢٤٥.

والضعف، وذلك لأنني منذ ثلاث ليال، أوزع ما يعطونني من الطعام على الأطفال، فالقوم لا يدفعون لكل منا إلا رغيماً واحداً من الخبز في اليوم والليلة^(٢)!!

أجل.. وقد كانت الحكمة والمصلحة تقتضي أن يبقى الإمام زين العابدين عليه السلام بمعزل عن انتباه الأعداء والجواسيس المرافقين، ولا يتكلم بأية جملة من شأنها جلب الانتباه إليه. ولذلك فقد جاء في التاريخ: أن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ما كان يكلم أحداً من القوم.. طوال الطريق إلى أن وصلوا إلى باب قصر يزيد بدمشق^(٣)!

من هنا.. فقد كان الدور الأكبر مُلقى على عاتق السيدة الكفوءة زينب العظيمة عليها السلام. ورغم قلة المعلومات التي وصلتنا عما جرى على السيدة زينب عليها السلام في طريق الشام من الحوادث، إلا أننا نذكر هذه المقطوعات والعينات التاريخية التي تعبر للقارئ المتدبر الذكي عن أمور كثيرة، وعن الدور العظيم والمسؤوليات الجسيمة التي قامت بها السيدة زينب الكبرى عليها السلام طوال هذه الرحلة:

ونقرأ في بعض كتب التاريخ: أن في طريقهم إلى الشام مروا على منطقة «قصر مقاتل»^(٤) وكان ذلك اليوم يوماً شديداً الحر، وقد نزت القربة التي كانت معهم وأريق ماؤها^(٥) فاشتد بهم العطش، وأمر عمر بن سعد جماعة من قومه أن يبحثوا عن الماء، وأمر أن تضرب خيمة ليجلس فيها هو وأصحابه، لكي تحميهم من حرارة الشمس، وتركوا عائلة الإمام الحسين عليه السلام وجميع النساء والأطفال.. تصهرهم الشمس، وأقبلت السيدة زينب عليها السلام إلى ظل جمل هناك، وقد أمسكت بالإمام علي بن الحسين عليهما السلام وهو في حالة خطيرة.. قد أشرف على الموت من شدة العطش، وبيدها مروحة تروحه بها من الحر، وهي تقول: «يعزّ علي أن أراك بهذا الحال يا بن

(٢) كتاب «زينب الكبرى» للشيخ جعفر النقدي، ص ٥٩.

(٣) كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد، ص ٢٤٥.

(٤) قصر مقاتل: قصر كان بين «عين التمر» والشام. منسوب إلى مقاتل بن حسان. وقيل: كان ذلك قرب القطقطانة. كما في «مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع» للبغداد.

(٥) نزت القربة: نفذ ماؤها وجفت.

أخي!»! وذهبت السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليه السلام إلى ظل شجرة كانت هناك، وعملت لنفسها وسادةً من التراب ونامت عليها، فما مضت ساعة إلا وبدأ القوم يرحلون عن ذلك المكان مع السبايا، وتركوا سكينه نائمة في مكانها، فقالت فاطمة الصغرى -وكانت عديلة سكينه-^(٦) للحادي^(٧): «أين أختي سكينه؟! والله لا أركب حتى تأتي بأختي»، فقال لها: وأين هي؟ قالت: لا أدري أين ذهبت، فصاح السائق للقافلة بأعلى صوته: يا سكينه هلمي واركبي مع النساء؟ فلم تستيقظ سكينه من نومتها لشدة ما بها من التعب والإرهاق، وبقيت نائمة، ولما أضر بها الحر والعطش انتبهت من نومتها، وجعلت تمشي خلف غبار القافلة وهي تصيح: «أخيه فاطمة! ألسنت عديلتك في المحمل! وأنت الآن على الجمل وأنا حافية؟!»، فغطفت عليها أختها، وقالت للحادي: «والله لئن لم تأتني بأختي لأرمين نفسي من هذا الجمل، وأطالبك بدمي عند جدي رسول الله يوم القيامة»! فقال لها: من تكون أختك؟ قالت: سكينه التي كان الحسين يحبها حباً شديداً، فرق لها الحادي، ورجع إلى الوراء حتى وجد أختها وأركبها معها^(٨). وقد جاء في التاريخ -أيضاً- أن في ليلة من الليالي، بينما القوم يسرون في ظلام الليل، بدأت السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليها السلام بالبكاء، لأنها تذكرت أيام أبيها، وما كان لها من العز والاحترام، ثم هي الآن أسيرة بعد أن كانت أيام أبيها عزيزة، واشتد بكاءها، فقال لها الحادي: أسكتي يا جارية! فقد آذيتني ببكائك! فما سككت، بل غلب عليها الحزن والبكاء، وأنت أنه مؤجعة، وزفرت زفرة كادت روحها أن تخرج!! فزجرها الحادي وسبها، فجعلت سكينه تقول -في بكائها- وا أسفاه عليك يا أبي! قتلوك ظلماً وعدواناً! فغضب الحادي من قولها وأخذ بيدها وجذبها ورمى بها على الأرض!! فلما سقطت غشي عليها، فما أفافت إلا والقافلة قد مشت، فقامت وجعلت تمشي حافية في ظلام الليل، وهي تقوم مرة وتقع مرة!! وتستغيث

(٦) عديلة: العديل: الذي يعادل في المحمل. كما في كتاب «العين» للخليل بن أحمد.

(٧) الحادي: السائق للإبل.

(٨) كتاب (الدمعة الساكبة للبهيهاني المتوفى عام ١٢٨٥ هـ، طبع لبنان، ج ٥، ص ٧٥. وقد نقلنا الحادثة مع تغيير يسير في بعض العبارات.

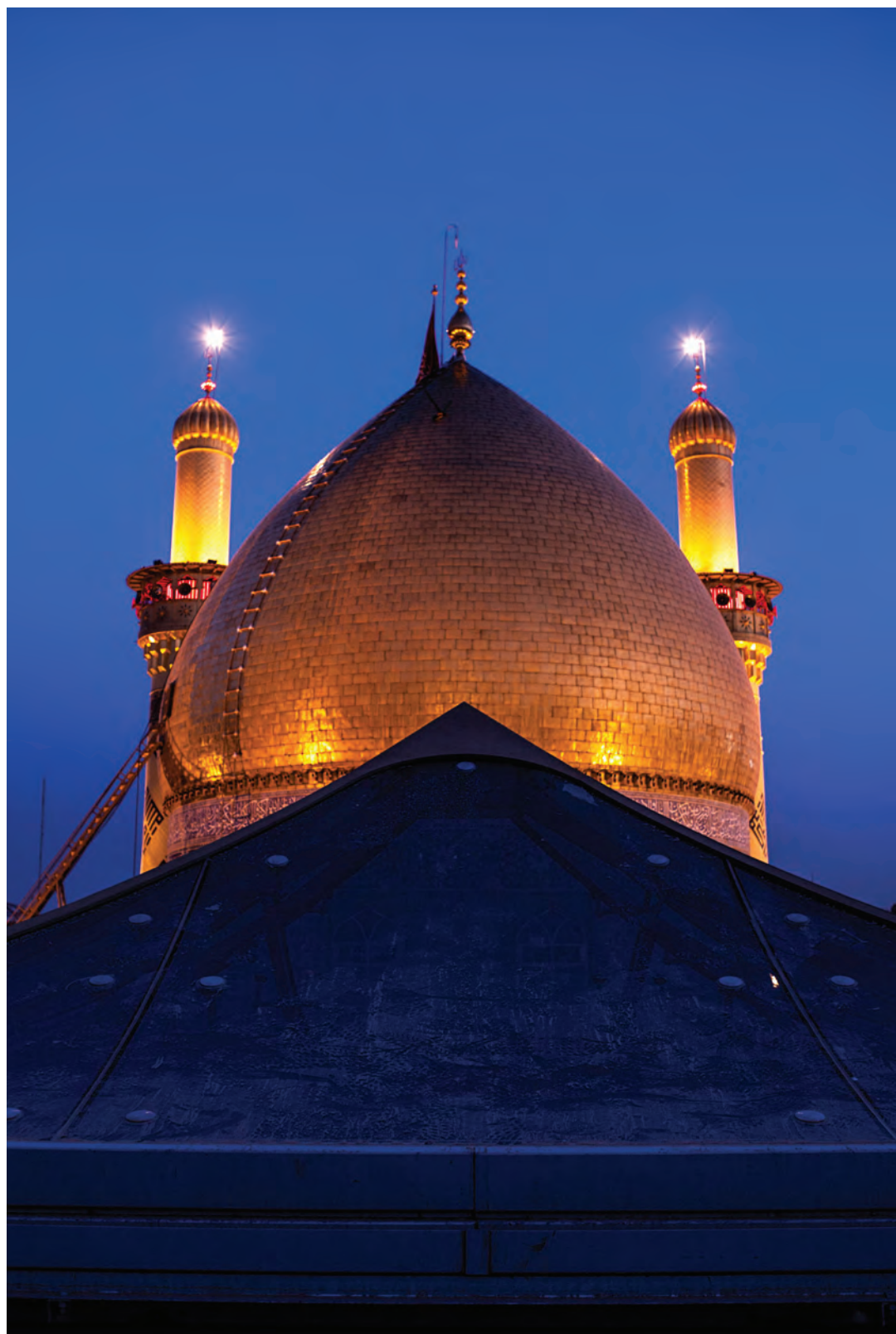
بالله وبأبيها، وتنادي عمتها، وتقول: يا أبتاه مضيت عني وخلفتني وحيدة غريبة، فإلى من ألتجئ وبمن ألوذ في ظلمة هذه الليلة في هذه البداء؟! فركضت ساعة من الليل وهي في غاية الوحشة! فلم تر أثراً من القافلة، فسقطت مغشياً عليها!! فعند ذلك اقتلع الرمح الذي كان عليه رأس الحسين عليه السلام من يد حامله، وانشقت الأرض ونزل الرمح إلى نصفه في الأرض، وثبت كالسمار الذي يثبت في الحائط!! وكلما حاول حامل الرمح أن يخرج من الأرض.. لم يتمكن! واجتمعت جماعة من القوم وحاولوا إخراج الرمح فلم يستطيعوا ذلك. فأخبروا بذلك عمر بن سعد، فقال: اسألوا علي بن الحسين عليه السلام عن سبب ذلك، فسألوا الإمام عليه السلام قال: قولوا لعمتي زينب تتفقد الأطفال، فلربما قد ضاع منهم طفل.

فلما قيل لزينب الكبرى ذلك، جعلت تتفقد الأطفال وتنادي كل واحد منهم باسمه، فلما نادت: بنيه سكينه لم تجبها! فرمت السيدة زينب عليها السلام بنفسها من على ظهر الناقة! وجعلت تنادي: واغربتاه! واضيعتاه! واحسيناه! بنيه سكينه: في أي أرض طرحوك! أم في أي وادٍ ضيعوك! ورجعت إلى وراء القافلة وهي تعدو في البراري حافية، وأشواك الأرض تجرح رجليها، وتصرخ وتنادي!! وإذا بسواد قد ظهر فمشيت نحوه وإذا هي سكينه، فرجعتا معاً نحو القافلة^(٩).

وروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه سأل أباه علي بن الحسين عليهما السلام عما جرى له في طريق الشام؟ فقال الإمام علي بن الحسين: مُهَلْتُ على بعير هزيل، بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على علم، ونسوتنا خلفي على بغال، والحرس خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح! حتى دخلنا دمشق، فصاح صائح: يا أهل الشام، هؤلاء سببا أهل البيت^(١٠).

(٩) كتاب «معالي السبطين» ج ٢، الفصل الثالث عشر، المجلس الثالث عشر، وهو ينقل ذلك عن كتاب «مصباح الحرمين».

(١٠) كتاب «الإقبال» للسيد ابن طاووس.







كَلَامُهَا



حديث الحوراء زينب عليها السلام للإمام زين العابدين عليه السلام
وكلامها في علو شأن قبر الحسين عليه السلام على مرّ الأيام

الشيخ عبدالله بن الحاج حسن آل درويش

روى ابن قولويه عليه الرحمة، عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبدالله أحياناً، فقلت: إن ذلك لكما بلغك، فقال عليه السلام لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله صلوات الله عليه، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه. فقال: والله إن ذلك لكذلك، فقلت: والله إن ذلك لكذلك -يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً- فقال: أبشر، ثم أبشر، ثم أبشر، فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون، إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يُراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يُواروا، فعظم ذلك في صدري، واشتد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمّي زينب الكبرى بنت علي فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع؟ وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرجين بدمائهم، مرمّلين بالعراء، مسلمّين لا يُكفّنون ولا يوارون، لا يُعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزئك ما ترى، فو الله إن ذلك لعهد من رسول الله صلوات الله عليه إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً.

فقلت: وما هذا العهد؟ وما هذا الخبر؟ فقالت: حدّثني أم أيمن أن رسول الله صلوات الله عليه زار

منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام، فعملت له حريرة، وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن، فأتيتهم بعسّ فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة، وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر بالزبد، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وآله يده وعلي عليه السلام يصبّ عليه الماء، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا فيه السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثم وجّه وجهه نحو القبلة، وبسط يديه يدعو، ثم خرّ ساجداً وهو ينشج، فأطال النشج، وعلا نحيبه، وجرت دموعه، ثم رفع رأسه، وأطرق إلى الأرض، ودموعه تقطر كأنها صوب المطر.

فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهابنا أن نسأله، حتى إذا طال ذلك قال له علي عليه السلام وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله؟ لا أبكى الله عينيك، فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك، فقال: يا أخي، سررت بكم.

وقال مزاحم بن عبدالوارث في حديثه هاهنا: فقال: يا حبيبي، إني سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط، وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم، إذ هبط عليّ جبرائيل فقال: يا محمد، إن الله تبارك وتعالى أطلع على ما في نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنّاك العطية، بأن جعلهم وذريّاتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة، لا يفرّق بينك وبينهم، ويحبون كما تحب، ويعطون كما تُعطى حتى ترضى، وفوق الرضا، على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملّتك، ويزعمون أنهم من أمّتك، براء من الله ومنك، خبطاً خبطاً، وقتلاً قتلاً، شتّى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عز وجل على خيرته، وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثم قال لي جبرائيل: يا محمد، إن أخاك مضطهدٌ بعدك، مغلوبٌ على أمّتك، متعوبٌ

من أعدائك، ثم مقتول بعدك، يقتله أشر الخلق والخليقة، وأشقى البرية نظير عاقر الناقة، ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثرون بلواهم ويعظم مصابهم.

وإن سبطك هذا - وأوماً بيده إلى الحسين عليه السلام - مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك، بضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء، من أجلها يكثرون الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك، في اليوم الذي لا ينقضي كرب، ولا تنفى حسرته، وهي أظهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنها لمن بطحاء الجنة، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة ترعزت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال، وكثرت اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضباً لك - يا محمد - ولذريتك، واستعظماً لما يئتهك من حرمتك، ولشر ما تكفأ به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهللك المستضعفين المظلومين، الذين هم حجة الله على خلقه بعدك، فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار، ومن فيهن: أني أنا الله الملك القادر، والذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لأعذب من وتر رسولي وصفيي، وانتهدك حرمة، وقتل عترته، ونبد عهده، وظلم أهله، عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين.

فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك، واستحل حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد، مملوءة من ماء الحياة، وحلل من حلل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحطّوها بذلك الطيب، وصلى الملائكة صفّاً صفّاً عليهم، ثم بيعت الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية،

فيوارون أجسامهم، ويقىمون رسماً لقبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علماً لأهل الحق، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفّه ملائكة، من كلّ سماء مائة ألف ملك، في كل يوم وليلة، ويصلّون عليه، يسبحون الله عنده، ويستغفرون الله لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله: هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار، يدلّ عليهم ويُعرفون به.

وكأني بك -يا محمد- بيني وبين ميكائيل، وعليّ أماننا، ومعنا من ملائكة الله ما لا يُحصى عددهم، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد، أو قبر أخيك، أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله ﷻ، وسيجتهد أناس ممن حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر، ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً، ثم قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزني.

قالت زينب (عليها السلام): فلمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي (عليه السلام)، ورأيت أثر الموت منه قلت له: يا أبة، حدّثني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنيّة، الحديث كما حدّثتك أم أيمن، وكأني بك وبينات أهلك سبايا بهذا البلد، أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس، فصبراً صبراً، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذ وليٌّ غيركم وغير محبيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر: إن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً، فيجول الأرض كلّها في شياطينه وعفاريته، فيقول: يا معشر الشياطين، قد أدركنا من ذريّة آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار، إلّا من اعتصم بهذه العصاة، فاجعلوا شغلهم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم، وإغرائهم بهم وأوليائهم، حتى تستحكم

ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب، إنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضرُّ مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر. قال زائدة: ثم قال علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدَّثني بهذا الحديث: خذه إليك، أما لو ضربت في طلبه أباط الإبل حولاً لكان قليلاً^(١). والله درّ السيد جعفر الحلي عليه الرحمة إذ يقول:

يَا مَيِّتاً تَرَكَ الْأَبَابَ حَائِزَةً وَبِالْعَرَاءِ ثَلَاثاً جِسْمُهُ تَرْكََا
تَأْتِي الْوُحُوشُ لَهُ لَيْلاً مُسَلِّمَةً وَالْقَوْمُ تَجْرِي نَهَاراً فَوْقَهُ الرَّمَكَا
وَيْلٌ لَهُمْ مَا اهْتَدَوْا مِنْهُ بِمَوْعِظَةٍ كَالدُّرِّ مُنْتَظِماً وَالتَّبَرِّ مُنْسَبَكَا
لَمْ يَنْقَطِعْ قَطُّ مِنْ إِرْسَالِ خُطْبَتِهِ حَتَّى بَهَا رَأْسُهُ فَوْقَ السَّنَانِ حَكَا^(٢)

(١) كامل الزيارات، ابن قولويه: ٤٤٤ / ٤٤٨ ح ١، بحار الأنوار، المجلسي: ج ٤٥: ١٧٩ / ١٨٤

ح ٣٠ و ٢٨ - ج ٥٥: ٥٨ ح ٢٣.

(٢) رياض المدح والرثاء، الشيخ حسين القديحي: ٢٣٢.





عَلَيْهِ السَّلَام



خصائص وصفات الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ جعفر التستري

لهذه الخصائص خصوصية ظهرت في صفاته وعباداته يوم عاشوراء بالخصوص، وهي منشأ جميع الخصائص، ألا وهي امتثاله لخطاب خاص به من الله تعالى قد امتثل بعبادة خاصة به في يوم واحد، وتحققت بالنسبة إليه الطاف خاصة في مقابل أجزاء تلك العبادة أو لنقل العبودية للرب.

وهي عبادة ما تحققت من أحد قبله، ولا تحصل لأحد بعده، وهي عبادة جامعة لما يتصور من العبادات البدنية الواجبة والمندوبة، ظواهرها وبواطنها، روحها وصورتها، وأتى بأكمل أفراد كل واحد منها.

فعبّد الله تعالى بجميع مفردات تلك الكلمة وتراكيبها، وبهيئة اجتماعها في ظرف يوم واحد، وأظهر مع ذلك فيه جميع مكارم الاخلاق والصفات الحسنة، متلائمها ومتضادها، بأكمل أفرادها، وأضاف الى ذلك تحمل أعظم الشدائد والابتلاء الحاصل لكل مبتلى، والصبر عليها بأكمل أنواعه، بل الشكر عليها بأكمل وجوهه، وحازت هذه العبادات من كل مزية وخصوصية موجبة للفضيلة أزكاها وأسنائها، وزادت على ذلك كل خصوصية للعبادة في الشدة التي هي من خصوصيات بعض الأنبياء عليهم السلام والذين باهى الله تعالى بهم ملائكته.

لذلك حصلت له من جميع ذلك خصوصية عبادة لم يكن له شريك فيها، وبسببها اختص بنداء خاص بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٧-٢٨، واختص برضاه عن ربه تعالى ورضاه عنه «راضية مرضية»، واختص بعبودية خاصة وجنة خاصة منسوبة الى الله تعالى (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) فلنشرع في تفصيل هذه العبادة بعون الله تعالى.

فنقول: اعلم إن الله عز وجل كلّف عباده بحسب مراتبهم، ودرجاتهم، ومصالحهم، فجعل لكل نبي شرعة ومنهاجاً له، ولأمته، ولكل منهم خصائص بالنسبة الى أوصياهم، كما جعل الله تعالى الملة الحنيفية السمحة السهلة لبنينا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، ولكن جعل له

خصائص كثيرة تبلغ إحدى وعشرين أو أكثر، وجعل لأوصيائه عليه السلام بالنسبة الى ما يتعلق بإمامته ودعوته الى الدين أحكاماً خاصة مثبتة، (في صحف مكرمة. مرفوعة مطهرة. بأيدي سفرة. كرام بررة) فجعل لكل واحد في ذلك تكليفاً خاصاً بيّنه لهم في صحيفة مختومة باثنتي عشرة خاتماً من ذهب لم تمسه النار جاء بالصحف جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وآله قبل وفاته.

وقال: يا محمد! هذه وصيتك الى النخبة من أهل بيتك، قال صلى الله عليه وآله: ومن النخبة؟ قال عليه السلام: علي بن ابي طالب وولده، فدفعها النبي صلى الله عليه وآله الى سيد الوصيين عليا عليه السلام وامره ان يفك خاتماً منها، ويعمل بما فيه، ثم دفعها الى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً فعمل بما فيه، ثم دفعها الى اخيه الحسين عليه السلام ففك خاتماً، فوجد فيه: أن اخرج بقوم للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، واطرقت نفسك لله تعالى. أي بمعنى: بع نفسك لله، ثم دفعها الى علي بن الحسين عليهما السلام ففك خاتماً فوجد فيه: اطرقت واصمت والزمت منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

ولما كان من التكليف المختص بالحسين عليه السلام «بع نفسك» والمراد به في خصوص يوم القتال، فلا بد أن يجمع في ذلك اليوم بين كل عبادة بدنية وقلبية وفعلية وتركية، واجبة، ومستحبة بأنواعها وأقسامها وأصنافها، وأشخاصها، المشتركة بينه وبين غيره، والمختصة به عليه السلام، فاستحق المعاملة الكلية مع الله تعالى، وأن يعطيه كل ما يمكن أن يعطيه المخلوق، وقد فعل ذلك.

وحصلت له بإزاء ذلك ألطاف خاصة جليلة، وخفية، وتفصيل هذه المعاملة، وبيان هذه العبادة، إنما يتحقق بأن نُعنون للعبادات والأخلاق على نحو ما في كتب الفقه، ثم نذكر كيفية تأديته لها، ثم بعض خصوصيات جمعها وتركيبها.

كتاب العبادات البدنية الواجبة

وفيه أبواب:

الأول: باب الطهارة الظاهرية العامة:

فقد اغتسل ليلة شهادته بقاء أتى به ولده علي مع علمه بأنهم يضطرون إليه، وهذا من خصائصه فاخص بالجمع بين أقسام الطهارات، ثم تطهر بطهور خاص: هو دم قلبه فتوضأ منه بغسل الوجه، ثم اغتسل غسل ترتيب بدماؤه، فغسل بها رأسه ثم بدنه ثم غسل بها غسل ارتماس تارة أخرى.

وأما الباطنية الخاصة: فقد توضأ في يوم العاشر بوضوء خاص، فملاً كفه من بعض دمائه وغسل بها وجهه وخضبه، ثم تيمم صعيداً طيباً مباركاً فمسح به وجهه واضعاً عليه جبهته حينما تهيأ لتسليم ما باعه الله تعالى.

الثانياً باب الصلاة:

في الزيارة الجامعة ورد: وأقمتم الصلاة، وفي زيارة الحسين عليه السلام بالخصوص: وأقمت الصلاة، فله إقامة الصلاة المختصة به، فقد صلى في ذلك اليوم بأربعة أقسام من الصلوات.

القسم الأول: الوداع لصلاة الليل، وهي التي لها استمهل القوم ليلة عاشوراء.
القسم الثاني: صلاة الظهر في ذلك اليوم على طريقة صلاة الخوف، بنحو خاص به غير صلاة عسفان وذات الرقاع وبطن النخل * عسفان اي: موضع بين مكة والمدينة، وذات الرقاع: مخازن بنجد كانت تمسك الماء لبني كلاب، وبطن النخل: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة.

القسم الثالث: روح الصلاة من أسرار أفعالها وأقوالها وكيفيةها على ما هو مذكور في كتاب الصلاة.

القسم الرابع: صلى صلاة خاصة به بتكبير خاص وقراءة خاصة وقيام خاص وركوع خاص وسجود وتشهد وتسليم، أحرم لها حين نزل من الفرس وقام حين وقف راجلاً، وركع حين كان ينوء أي: ينهض ويقوم، ويكبو أي: يسقط، وقنت بقوله:

«اللهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيطٌ بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجاً وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي إليك مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً وأتوكل عليك كافياً، احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرّونا، وخدعونا وخذلونا وغدروا بنا، وقتلونا ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك ﷺ الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، برحمتك يا أرحم الراحمين»

ثالثاً: باب الصوم:

قد وقع التكليف به مختلفاً، وهو اثنا عشر قسماً ذكرتها في فصل مستقل، وأعلاها صوم الحسين (عليه السلام)، فقد أتى بصوم أمسك فيه عن الطعام وشرب الماء. وأضاف إليهما الإمساك عن جميع علائق القلوب والأبدان، ولذا جعل الله تعالى لصومه إفطاراً خاصاً أهدها إليه على يد نبيه ﷺ، وهو منتظر لوقت الإفطار، كما أخبره به ولده علي الأكبر (عليه السلام)، وقال: هذا جدي بيده كأس مذحورة لك.

رابعاً: باب الجنائز:

يجب تجهيز الأموات وتغسيلهم وتكفينهم وتحنيطهم والصلاة عليهم، إلا الشهيد في المعركة، فيجب الصلاة عليه ودفنه بشيابه، ويستحب التشيع لجنائزهم وحملها، والتربيع في حملها، وغير ذلك، إلا الحسين (عليه السلام) لم يتمكن من الواجبات، ولعله أتى بأقل الواجب من الصلاة حسب الإمكان، وأما الدفن فروي أنه (عليه السلام) حفر لرضيعه بسيفه فدفنه، لنكات:

١. التمكن منه وحده.

٢. أن لا يقطع رأسه.

٣. أن لا يبقى مطروحاً ثلاثة.

٤. أن لا يرض بحوافر الخيول.

٥. عدم القدرة على النظر إليه.

ولا ننسى أنه روي أن أكثر من رضيع للحسين عليه السلام قتل يوم الطف، نعم قد فعل ما تمكن منه، من حمل الأجساد وجمعها ووضع بعضها على بعض، فاذا وجد من يحمل الجنابة معه فعل، ومع عدم الوجدان كان عليه السلام يحمل بنفسه ويشيع ويربع.

خامساً: باب الزكاة والصدقات:

فقد أدى زكاة البدن، وزكاة المال، لا العشر وربيع العشر، بل جميعه حتى الثوب العتيق الذي لا قيمة له، ودفع ليلة عاشوراء أثواباً قيمتها ألف دينار لفك الرقاب، وهو كما ورد في الملهوف لابن طاووس ٤١.

سادساً: باب الجهاد:

في زيارة الجامعة، وجاهدتم في الله حق جهاده، وفي زيارة الحسين عليه السلام بالخصوص: أشهد أنك قد جاهدت في الله حق جهاده، نعم له خصوصية عليه السلام في الجهاد فأمر بجهاد خاص في أحكامه لم يؤمر به أحد قبله. وذلك من وجوه:

١. إن من شرائط الجهاد في أول الأول أن يكون الواحد بعشرة لا أكثر، فيلزم ثبات كل واحد في مقابل عشرة من الكفار، ثم خفف الله تعالى عنهم، وعلم أن فيهم ضعفاً فجعل شرط الوجوب أن يكون الواحد باثنين، فلم يوجب الجهاد إذا كان عدد العدو عشرة أضعاف المجاهدين، ولكن قد كتب عليه القتال وحده في مقابل ثلاثين ألفاً أو أكثر.

٢. إنه لا جهاد على الصبيان ولا على الهرم وهو الشيخ الكبير، وقد شرع الجهاد في واقعته على البيان مثل القاسم عليه السلام وابن العجوز (سلام الله عليهما)، بل على مثل

عبدالله بن الحسن عليه السلام وعلى الشيخ الكبير كحبيب بن مظاهر سلام الله عليه.

٣. أن لا يظن الهلاك، ولكنه عليه السلام قد علم بأنه يُقتل، فقال لأصحابه: أشهد أنكم تقتلون جميعاً ولا ينجو أحد منكم إلا ولدي علي.

ثم إن أعداءه خالفوا في سلوكهم معه حتى الأحكام التي جعلها الله تعالى للقتال مع الكفار وهي كثيرة. منها: عدم القتال في الشهر الحرام، ولكنهم قاتلوه فيه. ومنها: أن لا يقتل صبي ولا امرأة من الكفار، ولكنهم قتلوا منه صبيانا بل رضعاً، فريضاً حين أراد تقييله ورضيعاً حين أراد منهم أن يسقوه. ومنها: أن لا يحرق زرعهم، وقد أحرقوا بعض خيامه أثناء حياته، وأرادوا حرقها مع من فيها فخاب كيدهم ولكنهم أحرقوا بعضها الآخر بعد قتله. ومنها أن لا يهجموا دفعة إذ الشرط الوحدة في المبارزة، ولو مع الكفار. ومنها: أن لا يبدؤا في الهجوم قبل الظهر بل العصر حتى لا تطول المقاتلة، ويحول الليل بينهم لئلا يستأصلوا. ومنها: أن لا ينقل رأس من المعركة كما جاء في كتاب المبسوط للشيخ السيوطي ٢:٣٣، وقيل أنه يكره نقل رؤوس الكفار إلا مع نكاية بهم، فأصل قطع رأس الكافر جائز ونقله في أرض المعركة جائز، ولكن لا يجوز أن ينقل من الميدان ومحل الحرب الى مكان آخر. ومنها: أن لا يسلب كبير الكفار إلا إذا قتل.

حتى أن علياً عليه السلام لما قتل عمراً وهو الكفر كله، لم يسلب منه حتى درعه الذي لم يكن له نظير في ذلك الزمان على ما قيل ولم يكن من لباسه وقد سُئل عليه السلام عن ذلك فقال: إنه كبير قوم ولا أحب هتك حرمة.

وذلك حينما قال المصطفى عليه السلام فيه: برز الإيمان كله الى الشرك كله، وبذلك فرحت أخته لما رأت أخاها غير مسلوب، وعلمت أن قاتله علي عليه السلام، فكان فرحها لشيئين: أحدهما: أن قاتله كفء كريم، وشخص جليل لذا قالت:

لو أن قاتل عمر غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد

ثانيهما: أنه عليه السلام قد أحترمه بعدم سلب درعه، لذا قالت: «لا رقأت دمعتي أن أهرقتها

«، تعني أن سروري باحترام قاتلك لك قد أنساني مصيبتى تلك فلا أبكيك، بل يقال أنها هلهلت فرحاً، وقالت: يا أخي عشت طويلاً جليلاً مكرماً، وقتلت بيد جليل محترم، ثم أنشدت:

لكن قاتله من لا يعاب به وكان يدعى قديماً بيضة البلد
فما أدري لو كان قاتل أخيها ابن راعية معزى، أبقع أبرص من أرذل الناس، فما كانت تصنع؟! »

ومنها: أن لا يمثّل بقتيل من الكفار حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن المثلة بأشقى الأشقياء من الأولين والآخرين، وهو ابن ملجم، فقال عليه السلام:

إذا مِتُّ فلا تمثلوا به بعدي. وهذا الحكم ثابت عند الكفار، وعبداء الأصنام أيضاً في الجاهلية. حتى بالنسبة الى المسلمين الذين قُتلوا فإن أبا سفيان لما وقف يوم أحد على الشهداء، بعد فرار المسلمين في الأطراف، ورأى جسد الحمزة، جاء إليه ووضع الرمح على فمه وضعاً وشمّت بقتله.
وقال: ذق يا شاق يا عاق.

لكن لما رأى المثلة في أصابعه، وبطنه وإخراج كبده، صاح بأعلى صوته: يا أتباع محمد إن قتلانا في قتلاكم مثلة، والله ما أمرت بهذا ولا رضيت به.

ولكن قد أمر بأعظم المثلة دَعِيَّ أبي سفيان، فكتب الى بن سعد: «إذا قتلت حسيناً (اركب) الخيل ظهره وصدره!»

ولست أرى أن هذا يضر بعد الموت شيئاً، لكن على قول قد قتلته: لو قتلته لفعلت هذا به. «ومنها: الأيّمر بنساء الكفار إذا أسرن على رجالهن القتل، ولذا عاتب المصطفى صلى الله عليه وآله بلالاً حين مرّ بصفية، أسيرة على قتلى اليهود، حتى ارتجف وارتعدت فرائصه، ولكن عظمة المصيبة بالنسبة الى سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله ليست في مجرد المرور بهن على قتلاهن مضرّجين بالدماء، بل في اصطحابهن لقتلاهن أياماً كثيرة، تزيد على الشهر، وكون

رؤوس القتلى بمنظرهن. ومنها: أن النساء من الكفار اذا أُسرن واسترققن وكنّ من بنات السلاطين فلا يعرضن للبيع في الأسواق، ولا يوقفن في المجالس، ولا تكشف وجوههن كسائر نساء الكفار، ولكن روي عن الباقر عليه السلام: أنه جيء بسبايانا الى الشام مكشفات الوجوه.

فقال أهل الشام ما رأينا سبايا أحسن وجوهاً من هذه السبايا ومع ذلك فقول الشامي ليزيد: هب لي هذه الجارية، يقرع الكبد أكثر من العرض للبيع.

سابعاً: باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

له عليه السلام من ذلك قسم لم يكلف به غيره حتى انه تبسم في وجه قاتله ووعظه لما اراد قتله، ووعظ رأسه الشريف الراهب ودعاه الى الحق فأسلم على يديه.

كتاب العبادات المستحبة

أولاً: باب سقي الماء:

والظاهر أنه مستحب حتى للكفار في حال العطش، والبهايم وواجب في بعض الأوقات، وأجره أول أجر يُعطى يوم القيامة كما ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه ٣٦:٢ وقد تحققت منه عليه السلام أنواع السقي كلها حتى السقي للمخالفين له والسقي لدوابهم بنفسه النفيسة، وسقي ذي الجناح فقال: اشرب وأنا أشرب وحصلت منه أنواع الاستسقاء كلها حتى بحفر البئر بيده الشريفة، وبالسؤال منهم بلسانه وبرسوله مقللاً لكميته حتى بلغ السؤال لقطرة أيضاً.

ثانياً: باب الإطعام:

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، وكفى في فضله أن الخلاص من العقبة قد حمل عليه في الآية الشريفة، والحسين عليه السلام لم يتمكن من هذه العبادة بالخصوص مع أن يوم عاشوراء علاوة أنه كان يوماً ذا عطش فقد كان يوماً ذا

مسغبة أيضاً.

إن الطعام كان مفقوداً عندهم في ذلك اليوم، ولذا قال السجادة عليه السلام: «قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً»، لكن من جهة شدة العطش لم يتحقق ذكر الاستطعام، لأنه مذلة عظيمة لا تتحملها النفوس الأبية، بل وتستنكف الإطعام وإن حصل بدون استطعام في هذه الحالة.

ولذا لما أطعم أهل الكوفة الأطفال التمر والجوز صاحبت بهم أم كلثوم عليها السلام «يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام، وأخذت هي وزينب عليهما السلام ما في أفواه الأطفال، ورمته إليهم. فإن الطعام في هذه الحالة صدقة فيها إهانة وذلة، فيحرم عليهم وإن لم يكن زكاة. ثالثاً: باب ملاطفة الآباء أولادهم:

فإنه مستحب، ولتفريح البنات خصوصية في الفضيلة، وقد تحقق ذلك منه بأحسن وجوهه، وذلك بتسلية ابنته الصغيرة سكينه عليها السلام، بتقبيل وجهها ومسح رأسها وتسليتها فما ازدادت إلا غصة وحزنا.

رابعاً: باب رد العادية وإغاثة الملهوف:

له من هذين المستحبين ما لم يتحقق لغيره منذ صارا من المستحبات، فقد رد العادية أحسن رد لما صرخت النساء حين الإحاطة بهن فقال لهم:

اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي

وقد أغاث اثنين وسبعين لهيفاً من أصحابه حين كانوا ينادونه إذا صُرِعوا ليحضر عندهم، فأغاثهم كلهم، وأغاث سبعة وعشرون لهيفاً من أهل بيته عليه السلام، نعم عزّ عليه ويعزّ ذلك علينا أن بعض إغاثاته صارت سبباً لشدة المصيبة على من أغاثه، كما اتفق في إغاثته لابن أخيه، ولذا قال عليه السلام «عزّ والله على عمك أن يجيبك فلا ينفعك....».

خامساً: باب إدخال السرور على المؤمن، وزيارته:

وهما من أفضل الأعمال، كما في الروايات، وقد سعى عليه السلام في إدخال السرور على

المؤمنين والمؤمنات في ذلك اليوم وأمر بالصبر، ووعظهم، لكن حيث أن الميدان أرض كرب وبلاء بذاته وأن يوم عاشوراء يوم أسف وحزن بذاته، لم يمكن أن يحصل سرور في قلوبهم، وأما الزيارة فقد حصلت منه بعناوين مختلفة.

سادساً: باب عيادة المريض:

التي ورد فيها: أن عيادة المؤمن بمنزلة عيادة الله ﷻ، وقد ظهر منه ﷺ عيادته للمرضى والمجروحين حين دعوهم ليعودهم فلم يكتف بمحض المجيء والجلوس عندهم، بل كان يخص بعضهم بملاطفات خاصة، وخصوصاً الغرباء منهم، كالعبد الأسود، والغلام التركي الذي جاء إليه ووجده قتيلاً ولكنه ﷺ أراد عيادة واحد منهم فلم يتحقق ذلك وهو ابنه، فانه لأدبه لم يدعه، لكنه لما سمع سلامه جاء إليه عالماً بأنه لا يدركه حياً، فصاح: يا بني قتلوك. نعم تحققت منه عيادة لولده السجادة ﷺ وسؤال عن حاله حين أراد المبارزة، لكنها كانت آخر عيادة لموت العائد الصحيح قبل المريض المعاد، وتفصيلها في عنوان الشهادة.

سابعاً: باب تلاوة الذكر والدعاء:

أما التلاوة فقد كان يتلو كتاب الله تعالى آناء الليل، وأطراف النهار. ومع ذلك فقد استمهل الأعداء ليلة عاشوراء لأمر أحدها التلاوة: فقد اهتدى بسماع تلاوته ومناجاته ثلاثون رجلاً في تلك الليلة، وعبروا إليه من عسكر ابن سعد، واستشهدوا بين يديه، وتلا القرآن الكريم في يوم عاشوراء في مقامات خاصة: إحداها حين وقف لولده قبالة القوم، وقد دامت تلاوته الى حين رفع رأسه على الرمح، فسمعت منه سورة الكهف.

وأما الذكر: فإن جميع حالاته وأفعاله وأقواله وحركاته وسكناته من عصر تاسوعاء الى عصر عاشوراء كانت ذكراً لله تعالى، وتذكراً للميثاق، وتعهداً له، حتى أدى أمانته، ولم ينشغل بشيء من اللوازم البشرية والجسدية حتى أكل الطعام، هذا مع أنه كان رطب

اللسان دائماً بالذكر حتى حين يبس لسانه، وأما الدعاء: فقد اشتغل به من أول الليل، وهو أحد الأمور التي استمهل الأعداء لأجلها ليلة عاشوراء، فاشتغل به في تلك الليلة الى الصباح.

ودعا أول الصبح بقوله: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته» ثم كان آخر دعاء دعا به وهو طريق: «اللهم متعالى المكان عظيم الجبروت...».





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قافلة آل الرسول تصل الى الكوفة

السيد محمد كاظم القزويني

ذكر الطريحي في كتاب (المنتخب) عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أجدد الأبواب، وإذا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة^(١)، فأقبلتُ على خادم كان يعمل معنا، فقلت: ما لي أرى الكوفة تضج؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد بن معاوية، فقلت: من هذا الخارجي؟ قال: الحسين بن علي!!! فتركت الخادم حتى خرج، ولطمت على وجهي، حتى خشيت على عيني أن تذهباً، وغسلت يدي من الجص، وخرجت من ظهر القصر، وأتيت إلى الكناس^(٢) فبينما أنا واقف، والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبلت نحو أربعين شقة، تحمل على أربعين جملاً^(٣)، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء^(٤)، وأوداجه تشخب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم ترع جدنا فينا

إلى آخر الأبيات... وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم: يا أهل الكوفة! إن الصدقة علينا حرام! وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم، وترمي به إلى الأرض، كل ذلك والناس ييكون على ما أصابهم!!

ثم إن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت: (صه يا أهل الكوفة! تقتلنا رجالكم، وتبكيها نساءكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله، يوم فصل القضاء)، فبينما هي تخاطبهم، وإذا بضجة قد ارتفعت، وإذا هم قد أتوا بالرؤوس، يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو

(١) الزعقات جمع زعقة: الصيحة. الزعق: الصباح، كما في كتاب «لسان العرب» لابن منظور، و«الصحاح» للجوهري.

(٢) الكناس والكناسة: محلة بالكوفة. كما في «معجم البلدان» للحموي.

(٣) شقة: المحمل والهودج.

(٤) طاء: القماش وشبهه الذي يوضع على ظهر الجمل، لراحة الراكب.

رأس زهري قمري^(٥)، أشبه الخلق برسول الله ﷺ ولحيته كسواد السبع^(٦) قد انتصل منها الخضاب^(٧)، ووجهه دارة قمر طالع^(٨) والريح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب عليها السلام، فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدم المحمل، حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها، وأومات إليه بخرقه، وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتم كمالاً غاله خسفه فأبدى غروباً
ما توهمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدراً مكتوباً
يا أخي! فاطم الصغيرة كلّم ها فقد كاد قلبها أن يذوباً

إلى آخر الأبيات^(٩)... وجاء في التاريخ: أن قافلة آل الرسول لما اقتربت من الكوفة، اجتمع أهلها للنظر إليهن، فأشرفت امرأة من الكوفيات من سطح دارها وقالت: من أي الأسارى أنتن؟ قلن: نحن أسارى آل محمد! فنزلت من سطحها وجمعت ملاءً وأزراً ومقانع، فأعطتهن فتغطين^(١٠).

تعتبر خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة وفي مجلس يزيد في الشام في ذروة الفصاحة، وقمة البلاغة، وآية في قوة البيان، ومعجزة في قوة القلب والأعصاب، وعدم الوهن والانكسار أمام طاغية بني أمية ومن كان يحيط به من الحرس المسلحين، والجلاوزة

(٥) زهري: أي مشرق اللون.. رغم انفصاله عن الجسد. وزهري: تشبيه بنجم «الزهرة» المشهورة بالإشراق والإضاءة المميزة في نورها. والتي هي عبارة عن اللون الأبيض المشرق المزيج مع لون الورد المحمدي، أي: اللون الأحمر الفاتح. قمري: أي: أن وجهه مستدير الشكل.. وليس مستطيلاً.

(٦) السبع: معرب شبه: وهو حجر أسود، يضرب به المثل في شدة السواد.

(٧) انتصل منها الخضاب: أي بدأ اللون الأسود يذهب من أصول الشعر.

(٨) دارة قمر طالع: أي مستدير وجميل، كالقمر ليلة البدر، حيث يكون متكامل القرص وشديد الإنارة.

(٩) كتاب «المنتخب» للطريحي، ج ٢، ص ٤٦٤، المجلس العاشر. وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٤٥، ص ١١٤.

(١٠) كتاب (بحار الأنوار) ج ٤٥، ص ١٠٨، نقلاً عن السيد ابن طاووس.

والجلادين الذين كانوا على أهبة الاستعداد ينتظرون الأوامر كي ينفذوها بأسرع ما يمكن من الوقت. وهنا قد يتبادر سؤال إلى الذهن، وهو إن السيدة زينب عليها السلام كانت سيدة المحجبات المخدرات، ولم يسبق لها أن خطبت في مجلس رجال أو مجمع عام، وليس من السهل عليها أن ترفع صوتها وتخطب في تلك الاجتماعات، فلماذا قامت السيدة بإلقاء الخطب على مسامع الجماهير مع تواجد الإمام زين العابدين عليه السلام؟ مع العلم أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان أقوى وأقدر منها على فنون الخطابة، وأولى من التحدث في جموع الرجال؟

لعل الجواب هو: أن الضرورة أو الحكمة اقتضت أن يسكت الإمام زين العابدين عليه السلام طيلة هذه المسيرة كي لا يجلب انتباه الناس إلى قدرته على الكلام، وحتى يستطيع أن يصب جام غضبه كله على يزيد، في الجامع الأموي، بمرأى ومسمع من آلاف المصلين الذين حضروا يومذاك لأداء صلاة الجمعة خلف يزيد.

فلو كان الإمام زين العابدين عليه السلام يخطب في أثناء هذه الرحلة.. في الكوفة وغيرها، فلعله لم يكن يسمح له بالخطابة في أي مكان آخر، فكانت تفوته الفرصة الثمينة القيمة، وهي فرصة التحدث في تلك الجماهير المتجمهرة في الجامع الأموي، علماً بأنه لم يبقَ من آل الرسول في تلك العائلة رجل سوى الإمام زين العابدين عليه السلام، ولهذا السبب كانت السيدة زينب عليها السلام تتولى الخطابة في المواطن والأماكن التي تراها مناسبة.

وليس معنى ذلك أنها فتحت الطريق أمام النساء ليخطبن في جموع الرجال، أو المجتمعات العامة كالأسواق والساحات وغيرها، بل إن الضرورة القصوى كانت وراء خطبتها عليها السلام، هذا أولاً.

ثانياً: لقد كانت حياة الإمام زين العابدين عليه السلام مهددة بالخطر طوال هذه الرحلة وخاصة في الكوفة فكم من مرة حكموا على الإمام بالقتل والإعدام، لولا أن دفع الله تعالى عنه شرهم؟! فما ظنك لو كان الإمام عليه السلام يخطب في شارع الكوفة أو في مجلس

الدعي بن الدعي عبيدالله بن زياد، والحال هذه؟! هل كان يسلم من القتل؟ طبعاً: لا. إنهم أرادوا أن يقتلوه وهو بعد لم يخطب شيئاً، فكيف لو كان يخطب في الناس ويكشف لهم عن مساوئ بني أمية ومخازيهم، ويبين لهم أبعاد ومضاعفات جريمة مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته؟؟!

نص خطبة السيدة زينب في الكوفة

والآن.. نذكر نصاً من خطبة السيدة زينب عليها السلام، ثم نشرح بعض كلماتها: قال بشير بن خزيم الأسدي^(١١): ونظرت إلى زينب بنت علي عليها السلام يومئذ فلم أر خفرةً والله أنطق منها^(١٢)، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(١٣)، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثم قالت:

«الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الأخيار. أما بعد:

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر!! أتبيكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة. إنها مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف؟ والصدر الشنف؟ وملق الإماء؟ وغمز الأعداء؟ أو كمرعى على دمنة؟ أو كفضة على ملحودة؟ ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبيكون وتنتحبون؟ إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً. فلقد ذهبتُم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً. وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة؟ ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدرسة سنتكم؟؟ ألا ساء ما تزررون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتُم بغضب من

(١١) المصادر التي تذكر خطبة السيدة زينب في الكوفة كثيرة، ونحن اعتمدنا على كتاب «الملهوف» للسيد ابن طاووس (رضوان الله عليه).

(١٢) خفرة: المرأة الشديدة الحياء.

(١٣) تفرغ: تصب، الإفراغ «الصب، قال تعالى: «أفرغ علينا صبراً».

الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة! أندرون أيّ كبدٍ لرسول الله فرّيتُم؟! وأيّ كريمةٍ له أبرزتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ حرمةٍ له هتكتُم؟! لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقهاء، خرقاء شوهاء، كطِلاع الأرض وملء السماء. أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تُنصرون. فلا يستخفّنكم المهمل، فإنّه لا يحفزّه البدار، ولا يخافُ فوّت الثار، وإنّ ربّكم بالمرصاد»^(١٤).

قال الراوي: «فو الله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى ييكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم. ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته، وهو يقول: «بأبي أنتم وأمي !! كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل لا يُخزى ولا يُبزى».

(١٤) كتاب «المللهوف» للسيد ابن طاووس، المتوفى سنة ٦٦٤ هـ، ص ١٩٢ ١٩٣.





سُبْحَانَكَ
يَا كَرِيمُ



لقد شاء الله أن يراهنّ سبايا

السيد هاشم معروف الحسني

لقد كان محمد بن الحنفية شقيق الحسين في طبيعة أولئك الذين حاولوا مع الحسين عليه السلام أن لا يستجيب لأهل العراق وأن يبقى بعيداً عنهم، وقد ذكره مع من ذكره بمواقفهم مع أبيه وأخيه، وكان قد أشار عليه أن يذهب إلى اليمن أو بعض نواحي البر، ولا يذهب إلى الكوفة، فوعده الحسين عليه السلام أن ينظر في الأمر، وفي مطلع الفجر من تلك الليلة أخبر ابن الحنفية أن الحسين عليه السلام قد تهيأ للخروج مع اخوته وبني عمومته ونسائه إلى العراق فأقبل عليه وقد أشرف موكبه على التحرك فأخذ بزمام ناقته وهو يبكي وقال له: ألم تعدني النظر فيما سألتك فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فرد عليه الحسين عليه السلام قائلاً: لقد زارني جدي رسول الله ﷺ في المنام بعد ما فارقتك وقال لي: لقد شاء الله أن يراك قتيلاً، فاسترجع ابن الحنفية وقال: إذا كان الأمر كما تقول، فما معنى حملك للنساء وأنت تخرج لهذه الغاية، فقال له: لقد شاء الله أن يراهن سبايا.

بهذا الجواب القصير وبهاتين الكلمتين بما لهما من المدلول الواسع وبدون موارد أو تمويه أجاب الحسين أخاه محمد بن الحنفية وعيناه تنهمر بالدموع والألم يحز في قلبه ونفسه، وكما قال أبو عبد الله عليه السلام لقد شاء الله أن يراهن سبايا، كما شاء أن يراه قتيلاً موزع الأشلاء هو ومن معه من أسرته وأصحابه على ثرى الطف؛ لأن سبيهن بعده من بلد إلى بلد لم يكن أقل أثراً على تلك الدولة الجائرة وعلى تلك الأسرة التي تكيد للإسلام من شهادته إن لم يكن أشد وقعاً على نفوس المسلمين من استشهاد.

لقد كان لسبي النساء والأطفال والطواف بهن من بلد إلى بلد أثر من أسوأ الآثار على الأمويين ودولتهم، وكان الجزء المتمم للغاية التي أرادها الحسين عليه السلام من نهضته فلقد أثار الأحزان والأشجان في نفوس المسلمين وكشف أسرار الأمويين وواقعهم السيئ للقاصي والداني، وأظهر قبائحهم ومخازيهم للعالم والجاهل، وأوضح للمسلمين في كل مكان وزمان أن الأمويين من ألد أعداء الإسلام، يبطنون الكفر والالحاد ويتظاهرون بالإسلام، رياء ودجلاً ونفاقاً. وفي الوقت ذاته فلقد كان سبيهم من جملة الوسائل لشـ

الدعوة الى العلويين ومبدأ التشيع لأهل البيت عليه السلام ولعن من شايع وتابع وبايع على قتل الحسين عليه السلام، وقد أشارت إلى ذلك العقيلة الكبرى في قولها ليزيد بن ميسون في مجلسه بقصر الخضراء: فوالله ما فريت إلا جلدك وما حززت إلا لحملك.

لقد حملهم معه وهو على يقين بأن الأمويين سيطوفون بهم في البلدان إلى أن يصلوا بهم إلى عاصمتهم الشام، وسيراهم كل إنسان، مكشفات الوجوه وفي أيديهم الأغلال والسلاسل، وأكثر الناس سيقابلون ذلك بالنقمة على الأمويين والأسف والحزن لآل بيت نبيهم الذي بعث رحمة للعالمين.

وجاء في كتاب المنتخب أن عبيدالله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن وشيث بن ربعي وعمرو بن الحجاج وضم إليهم ألف فارس وأمرهم بإيصال السبايا والرؤوس إلى الشام.

ويدعي أبو مخنف أنهم مروا بهم بمدينة تكريت وكان أغلب أهلها من النصاري فلما اقتربوا منها وأرادوا دخولها اجتمع القسيسون والرهبان في الكنائس وضربوا النواقيس حزناً على الحسين وقالوا: إنا نبرأ من قوم قتلوا ابن بنت نبيهم فلم يجرؤوا على دخول البلدة وابتأوا ليلتهم خارجها في البرية.

وهكذا كانوا يقابلون بالجفاء والإعراض والتوبيخ كلما مروا بدير من الأديرة أو بلد من بلاد النصارى، وحينما دخلوا مدينة لينيا وكانت عامرة يومذاك تظاهر أهلها رجالاً ونساء وشبيهاً وشباناً وهتفوا بالصلاة والسلام على الحسين وجده وأبيه ولعن الأمويين وأشياءهم وأتباعهم وأخرجوهم من المدينة وتعالى الصراخ من كل جانب، وأرادوا الدخول إلى جهينة من بلاد سوريا فتجمع أهلها لقتالهم فعدلوا عنها واستقبلتهم معرة النعمان بالترحاب، بلدة المعري الذي يقول:

أليس قريشكم قتلت حسيناً وصار على خلافتكم يزيد

وقال:

وعلى الأفق من دماء الشهيد **ن عليّ ونجليه شاهدان**

وحينما أشرفوا على مدينة كفرطاب أغلق أهلها الأبواب في وجوههم فطلبوا منهم الماء ليشربوا فقالوا لهم: والله لا نسقيكم قطرة من الماء بعد أن منعتم الحسين وأصحابه منه، واشتبكوا مع أهالي حمص وكان أهلها يهتفون قائلين: أكفراً بعد إيمان وضللاً بعد هدى، ورشقوهم بالحجارة فقتلوا منهم ٢٦ فارساً ولم تستقبلهم سوى مدينة بعلبك كما جاء في الدمعة الساكبة فذقت الطبول وقُدّم لهم الطعام والشراب.

وجاء عن سبط بن الجوزي عن جده أنه كان يقول: ليس العجب أن يقتل ابن زياد حسيناً وإنما العجب كل العجب أن يضرب يزيد ثنياه بالقضيب ويحمل نساء سبايا على أعقاب الجمال.

قد رأى الناس في السبايا من الفجيعة أكثر مما رأوه في قتل الحسين، وهذا ما أرادته الحسين عليه السلام من الخروج بالنساء والصبيان، ولو لم يخرج بهن لما حصل السبي الذي ساهم مساهمة فعالة في الهدف الذي أرادته الحسين من نهضته وهو انهيار تلك الدولة الجائرة.

ولو افترضنا أن السيدة الكبرى زينب بنت علي وفاطمة عليهما السلام بقيت في المدينة وقتل أخوها في كربلاء فما عساها تصنع وأي عمل تستطيعه غير البكاء والنحيب وإقامة العزاء؟ وهل كان يتسنى لها الدخول على ابن زياد لتقول له بحضور حشد من الناس: الحمد لله الذي أكرمنا بنيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيراً إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا ثكلتك أمك يا ابن مرجانة، وهل كان بإمكانها أن تدخل مجلس يزيد في قصر الخضراء وهو مزهو بملكه وسلطانه وتُلقي تلك الخطب التي أعلنت فيها فسقه وفجوره ولعنت فيها آباءه وأجداده وقالت له فيما قالت: أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك إماءك وحرائرك وسوقك بنات رسول الله من بلد إلى بلد، ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك وأستعظم تقريعتك.. إلى

غير ذلك من كلماتها التي كانت تنهال عليه كالصواعق وغيرت اتجاه الرأي العام نحوه ونحو بيته مما اضطره لأن يتنصل من تلك الجريمة ويلعن ابن زياد ويحاول أن يحمّله مسؤوليتها بعد أن بلغت آثار تلك المأساة في المدن والقرى التي مرّ بها موكب السبايا واللعنات التي كانت تنهال عليه وعلى أهل بيته، وبعد أن رأى الوجوه تغيرت عليه حين وقفت في مجلسه ذلك الموقف التاريخي الذي لا يزال حديث الأجيال بعد أن رأى ذلك وسمع ما أحدثه موكب السبايا في نفوس الناس وقلوبهم وبخاصة بعد أن عرف الناس في عاصمته وخارجها أن هذا الموكب لآل الرسول ﷺ وبناته جعل يتنصل من تلك الجريمة ويحمل أوزارها لابن زياد ومعاونيه. لقد كان باستطاعة يزيد ومعاونيه لو لم يتعرض لأسر النساء والأطفال وسبيهن من بلد إلى بلد أن يموه على الناس ويقول لهم لقد نازعني الحسين ملكي وقتلني فقتلته، ولكنه بعد أن صنع مع النساء والأطفال ما صنع من الأسر والسبي والامتهان ضاقت عليه الحجج والذرائع، ولم يعد أمامه إلا أن يتنصل منها ويضع مسؤوليتها على غيره، حيث لا يجديه التنصل ولا تستره الأعذار، وقد أيقن بعدها الكثير من الناس بأنه كان في عمله هذا مسيراً لأمويته الحاقدة على بيت محمد ﷺ ورسالته، ولو أنه ترك النساء والأطفال -بعد تلك المجزرة وشأنهم ولم يعاملهم بتلك المعاملة التي لم يعامل المسلمون بها أسرى المشركين ونساءهم- لما كان لجريمته كل ذلك الصدى الذي هز العالم الإسلامي بكل فئاته وطبقاته.

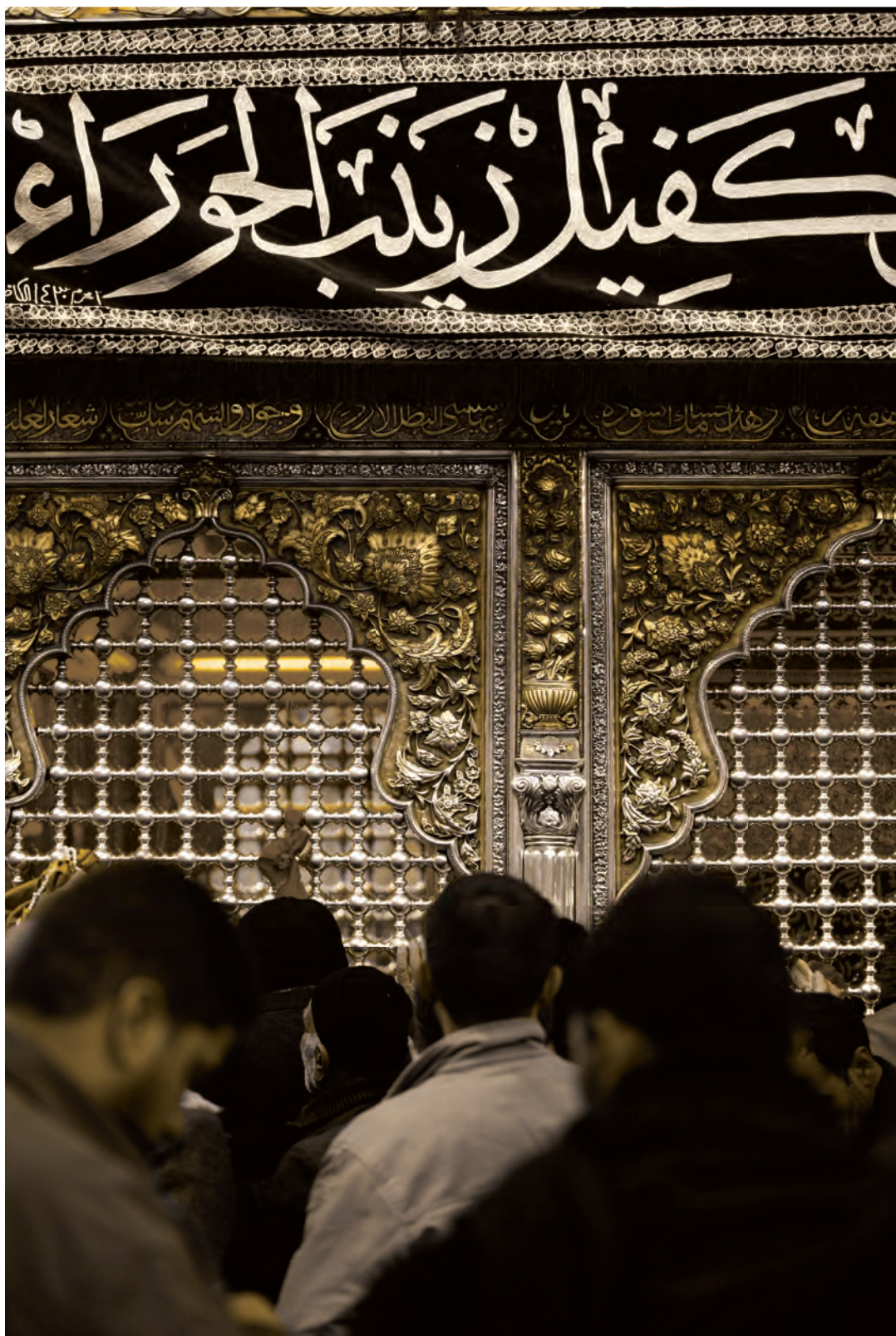
لقد كان الحسين ﷺ يرى من وراء الغيب بأن شهادته وحدها لا تعطي النتائج المطلوبة، ولا تحقق له جميع أهدافه ما لم تقترن بسبي النساء والأطفال والطواف بهن من بلد إلى بلد، ليتاح لشقيقته العقيلة أن تؤدي دورها ورسالتها، فقال لأخيه ابن الحنفية وهو يتململ بين يديه باكياً حزيناً: لقد شاء الله أن يراني قتيلاً وأن يرى نسائي وأطفالي سبايا، وكان على أمية وحفيدها يزيد بن ميسون لو كانت تملك ذرة من الوفاء والشرف أن تعود إلى الوراة قليلاً لترى ما فعله الرسول الكريم ﷺ جدّ زينب والحسين وبقية

العلويين والعلويات مع أبي سفيان وزوجته هند بنت عتبة، التي مثّلت بعمّه الحمزة حين أكلت من كبده، وكيف عاملهما بالعمفو والصفح وجعل لهما ما لم يجعله لأحد من مشركي مكة وطواغيتها، ورحم الله بعض الشعراء الذي ذهب يعاتب الأمويين بقوله:

وعليك خزيّ يا أمية دائم يبقى كما في النار دام بقاءك
فلقد حملت من الأثام جهالة ما عنه ضاق لمن دعاكِ دعاكِ
هلاً صفحت عن الحسين ورهطه صفح الوصي أبيه عن آباك
وعففت يوم الطف عفة جدّه الـ مبعوث يوم الفتح عن طلقاك
أفهل يد سلبت إماءك مثلما سلبت كريمات الطفوف يداك
أم هل برزن بفتح مكة حسراً كنسائه يوم الطفوف نساكِ
ورحم الله القائل في وصف السبايا:

وزاكية لم تلقَ في النوح مسعداً سوى أنها بالسوط يزجرها زجرُ
ومذعورة أضحت وخفاق قلبها تكاد شظاياها يطير بها الذعرُ
ومذهولة من دهشة الخيل أبرزت عشية لا كهف لديها ولا خدرُ
تجاذبها أيدي العدو خمارها فتستر بالأيدي إذا أعوز السترُ
سرت تتراماها العداة سوافراً يروح بها مصر ويغدو بها مصرُ
تطوف بها الأعداء كلّ مهمة فيجذبها قفر ويقذفها قفرُ





عَلَيْهِ السَّلَام



لكي لا تسبى حرائر الحسين عليه السلام مرة أخرى!!

عبد الأمير علي الهاشمي

نقل لنا المؤرخون ورواة السيرة الحسينية جواباً للإمام الحسين بن علي عليه السلام مع الصحابي عبدالله بن عباس (حبر الأمة)، بعد نقاش طويل عن أسباب الخروج ولم الخروج مع النساء والأطفال؟ فجاء الجواب ليكون ختاماً لهذا النقاش: شاء الله أن يراهن سبايا. وتدلُّنا النقاشات والمحاورات التي جرت مع الإمام الحسين عليه السلام أن الأمة الإسلامية قد دبت فيها روح الاسترخاء واللامبالاة بما جرى ويجري للأمة مقابل روح الحسين روح الثورة والاستشهاد والتفاني والشعور بالهم الإسلامي والتفكير في مصير الأمة هذا أولاً.

وثانياً: نرى أن الصحابة حاولوا تصوير الأمر -من خلال المحاورات والمناقشات- وكأنه نزاع شخصي والأمر لا يعدو البيتين العلوي والأموي، ويؤدون دور الناصح تارة والمشفق تارة أخرى لما سيؤول إليه الأمر إذا ما خرج الحسين عليه السلام وأصر على مواصلة المشوار.

ثالثاً: إن الأمة الإسلامية وكبار الصحابة آنذاك لا تنظر إلى الحسين عليه السلام كإمام وحارس للشرعية الإسلامية -كما ننظر نحن أبناء المذهب الجعفري- وكأن الحديث الشريف قد تم طمسه أو تناسته الأمة، الذي قاله الرسول الكريم ﷺ: (الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا) وكان الابتعاد عن مركز الخلافة بالنسبة لأهل البيت قد أصبح أمراً مسلماً لديهم، والخلافة لا ترتبط بمن يجسد الرسالة الإسلامية، ومن تسبق إليه البيعة فقد وكل الأمر إليه،!! أما الحسين عليه السلام فقد قال قوله: (مثلي لا يُباع مثله..).

وبعد هذه المقدمة نتساءل، لماذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يراهن سبايا؟ أو لنصوغ عبارة وسؤالاً بطريقة أخرى عن الجواب المجمل للإمام الحسين عليه السلام: ما الحكمة في الأمر؟ ألا يكفي أن يُنحر الحسين وأولاده وإخوته وصحبه لُتسبى النساء من أهل البيت وفيهن من لم يُرَ ظِلُّها في حياة أبيها كزينب الكبرى أخت الحسين وابنة فاطمة وعلي عليه السلام؟ وقبل الإجابة عن هذا التساؤل نعود للمحاضرة، حيث لم ينقل لنا المؤرخون أي جواب

أو تعليق من ابن عباس، فكأنه سلم للأمر وفهم مراد الحسين عليه السلام، أو أنه لم يجد ما يقوله بعد ذلك، ولن ندخل في ما فكر به ونكتفي بهذين الاحتمالين إما أنه فهم مراد الحسين وإما إنه لم يجد جواباً.

ولنُعُدْ لتأمل في المقالة للإجابة عن التساؤل أو ما الحكمة ولم (شاء الله أن يراهن سبايا)؟ وكمؤمنين نعتقد أن الله سبحانه وتعالى له حكمة في كل قضية وفي كل حكم والحسين عليه السلام امثل لهذا الأمر الإلهي.

فالقضية إذن ليست رغبة شخصية بقدر ما هو أمر إلهي والحسين عليه السلام يمثل لهذا الأمر، ولم تحدثنا السيرة عن معارضة أو عن نقاش جرى بين الحسين عليه السلام وبين النسوة أو بينه وبين أزواج النساء كتسليم مطلق مما يدل على أنه ولي الأمر المفترض الطاعة والحارس الأمين للشريعة على خلاف النظرة الأخرى التي لا ترى فيه سوى أنه حفيد النبي محمد صلى الله عليه وآله.

فلأمر لا يعني أن القضية هي رغبة للسبي فقط؛ ولكن ما بعد السبي، وتفاعلات السبي التي ستكون المحرك للثورة والفصل الثاني لها الذي سيستمر بسبب هذا السبي حتى ما شاء الله (كد كيدك واسع سعيك فوالله لن تمحو ذكرنا...). واصطحاب النساء والأطفال ليست مغامرة أو نشوة القائد الذي لا يدرك عواقب هذا الأمر الخطير مع قوم لا يردعهم أي رادع، ولا يراعون حرمان الله (كونوا عرباً كما تزعمون) فحتى القيم العربية ليست لها مكان في تفكير هؤلاء الذين سيُجابههم الحسين وصحبه وأهل بيته عليهم السلام!! والله الذي أمر بهذا كفيل بحمايتهم وحفظهم حتى يبلغ الله أمراً كان مفعولاً. لقد استطاعت الأسيرات أن يطوقن السجنانين بخطب جعلت منهم أسراً لا يستطيعون فعل أي شيء مقابل ما قامت به السبايا، لقد تحول السبي إلى لعنات تصب فوق رؤوس الجلادين، ولم يُدر بخلد المعسكر الأموي أن يتحول هذا السبي إلى سيف من نوع آخر يقلب كفة الصراع ويحوله إلى نصر سياسي.

لقد كان الفتح للسبايا اللاتي كلما دخلن مجلساً لأحد الطغاة أو الى مدينة مررن بها إلا وتم لمن نصر، وانحنت لمن أعناق الرجال بمنطق عقيلتهن وقدوتهن زينب الكبرى عليها السلام، ولكننا اليوم لا نرى في مسيرة السبايا إلا دموع نساء يولولن على القتلى ويندبن حظهن بما جرى عليهن وكأنهن جئن الى أرض المعركة دون إرادتهن، ونسينا الدور العظيم والقوة التي أظهرتها زينب والنساء في أرض الطف وفي الكوفة وفي مجلس ابن زياد ومجلس يزيد وفي المدن التي مررن بها.

لنعش القوة والصبر الذي عاشته زينب وبقية النسوة اللاتي (شاء الله أن يراهن سبايا) فحققن ما لم يتحقق في أرض المعركة وتنتصر المبادئ والقيم لتعود الى الأمة جذوة الإيمان ولتحيي فيهم روح الثورة والاستشهاد.

فبالإضافة الى استدرار عطف المستمع ليزدرف الدموع لأجل نيل البركة والمثوبة لأنها تقرب الى الله سبحانه وتعالى إلا أن هذا ليس هو كل المطلوب، فلا يكفي أن أستدر عاطفة وأذرف دمعة مع ما لها من الأجر والثواب وإنما أعيش ما أرادته الحسين وصحبه وأهل بيته عليهم السلام.

فقد تغسل الدموع ما تغسله، ولكن لأبْد أن نخطو الخطوة التالية لنكون مع الحسين عليه السلام، ولكي لا تسبى حرائر الحسين عليهم السلام مرة أخرى.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مدينة الرسول تندب الحسين وآله عليهم السلام

السيد صالح الشهرستاني

أما في مدينة الرسول ﷺ فيذكر التاريخ وتؤكد الروايات بأن عبيدالله بن زياد بعد أن كتب من الكوفة الى يزيد في الشام يخبره بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وتسلمه جواب يزيد بإيفاد الأسرى والسبايا ومعهم الرؤوس إليه في الشام، بادر يزيد حالاً بإرسال عبدالمالك بن حارث السلمي الى عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق وكان والي المدينة وحاكمها، وعامل يزيد فيها، وأمره بأن يبشره بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وآله وصحبه. وفيما يلي بعض الروايات التي تحدثنا عن تفاصيل هذا الأمر:

١. جاء في (الإرشاد) للشيخف «أنفذ يزيد عبدالمالك بن أبي الحديث السلمي الى المدينة ليخبر عمرو بن سعيد بن العاص عامله على المدينة بقتل الحسين عليه السلام، فيقول عبدالمالك^(١):

لما دخلت على عمر بن سعيد قال: ما وراءك؟ فقلت: ما يسر الأمير، قُتل الحسين بن علي. فقال: أخرج فناد بقتله، فناديت، فلم أسمع^(٢) واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي حين سمعوا النداء بقتله. ثم يستطرد فيقول: وخرجت أم لقمان زينب بنت عقيل بن أبي طالب رضي الله عنها سمعت نعي الحسين حاسرة، ومعها أخواتها أم هاني، وأسماء، ورملة، وزينب بنات عقيل بن أبي طالب تبكي قتلاها في الطف، وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

(١) في المصدر هكذا «ولما أنفذ ابن زياد برأس الحسين عليه السلام الى يزيد، تقدم الى عبدالمالك بن أبي الحديث السلمي فقال: انطلق حتى تأتي عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة فبشره بقتل الحسين، فقال عبدالمالك: فركبت راحلتي وسرت نحو المدينة فلقيني رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير تسمعه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قتل والله الحسين».

(٢) في المصدر زيادة (والله).

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي^(٣)

٢. تقول الدكتورة بنت الشاطي في كتابها «سكينة بنت الحسين» ص ٦٨، عند الإشارة الى وصول السبايا الى المدينة عام ٦١ هـ ما نصه: «وضجت المدينة بسكانها وهي تستقبل بقايا الركب الحسيني الذي ودعته منذ قليل، وبرزت النساء - كل النساء - صارخات باكيات، وخرجت عقيلات بني هاشم من خدورهن حاسرات الوجوه، يندبن في لوعة: واحسيناه، واحسيناه. ولم تبق في المدينة دار إلا وبها مأتم، ولبثت مناحة الشهداء هناك قائمة أياماً وليالي، حتى جفت المآقي من طول ما سكبت من دمع، وحتى ضحل الحلق من طول ما أجهدته النواح...».

وتستطرد الدكتورة بنت الشاطي فتقول: «وفي المدينة أقامت الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين المأتم عليه، وبكت النساء معها حتى جفت دموعها. ولما أعلمتها بعض جوارياها بأن السويق يسيل الدمعة أمرت أن يصنع السويق، وقالت: إنها تريد أن تقوى على البكاء، وقد خطبها بعد الحسين الأشراف، فأبت وقالت ما كنت لأتخذ حمًا - أي أقارب الزوج - وهكذا بقيت الرباب سنة بعد الحسين لم يظلمها سقف بيت حتى بليت وماتت».

٣. جاء في ص ٥٠٨ من كتاب: «أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام» بعد وصف مسيرة السبايا من الشام الى المدينة ما نصه: «فلما دخلوا المدينة خرجت امرأة من بني عبدالمطلب، ناشرة شعرها، واضعة كمها على رأسها، تلقاهم وهي تبكي وتشد: «ماذا تقولون إن قال النبي لكم...» الى آخر الأبيات المار ذكرها.

٤. وقد نقل صاحب كتاب «إقناع اللائم» هذا الحادث بالنص التالي: «وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي قال الواقدي: لما وصل الرأس - رأس الحسين - الى المدينة والسبايا، لم يبق بالمدينة أحد إلا وخرجوا وهم يضجون

بالكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب تصيح: واحسيناه، وأخاه،
وأهلاه، واحمداه ثم قالت:

ماذا تقولون لو قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي أما لكم عهد أما أنتم توفون بالذمم
ذريتني وبنو عمي بمضيعة منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

٥. وفي ج ١: ص ١١٣ من «المجالس السنية» ما لفظه: «وكانت أم البنين -وهي فاطمة بنت حزام الكلاية- أم العباس وأخوته: عبدالله، وجعفر، وعثمان، الذين استشهدوا مع أخيهام الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، بعد استشهادهم تخرج كل يوم الى البقيع في المدينة، وتحمل معها عبيدالله ابن ولدها العباس فتندب أولادها الأربعة خصوصاً أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس يستمعون بكاءها وندبتها، وكان مروان بن الحكم على شدة عداوته لبني هاشم فيمن يجيء فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي. فمما كانت ترثي به قولها في أولادها الأربعة:

لا تدعوني ويك أم البنين تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربي قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم وكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا بأن عباساً قطع اليمين

وفي ص ١٠٩ من الكتاب نفسه ما عبارته: «وروي عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه نظر يوماً الى عبيد الله بن العباس بن علي فاستعبر....».

٦. جاء في ج ١: ص ١٥٣ من كتاب «المجالس السنية» أيضاً ما نصه: «قال بشر

بن حذلم، وكان من جملة ركب الأسارى والسبايا، ومعروفاً بنظم الشعر، بأنه حينما وصل ركب السبايا والأسرى ضواحي المدينة المنورة قال لي الإمام زين العابدين (عليه السلام): ادخل المدينة وانعأ أبا عبد الله الحسين (عليه السلام). قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رفعت صوتي بالبكاء، وأنشدت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

ثم قلت: يا أهل المدينة، هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه، قال بشر: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجة إلا برزت من خدرها وهي تدعو بالويل والثبور، ولم يبق في المدينة أحد إلا وخرج وهو يضحج بالبكاء، فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمر على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعت جارية تنوح على الحسين وتقول:

نعمي سيدي ناع نعا فأوجعا وأمرضني ناع نعا فأفجعنا
فعيني جودا بالمدامع واسكبا وجودا بدمع بعد دمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبي الله وابن وصيه وإن كان عنا شاحط الدار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبد الله، وخدشت منا قروحاً لم تندمل، فمن أنت رحمك الله؟ فقلت: أنا بشر بن حذلم، وجهني مولاي علي بن الحسين (عليه السلام) وهو نازل بوضع كذا مع عيال أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ونسائه، قال: فتركوني مكاني وغادروني، فضربت فرسي حتى رجعت، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت

من باب الفسقاط وكان علي بن الحسين داخلاً فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له، وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية يعزونه، فضجت تلك البقعة ضجة شديدة، فأوماً بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فخطب فيهم خطبة مؤثرة ثم دخل زين العابدين الى المدينة فرآها موحشة باكية، ووجد ديار أهله خالية، تنعى أهلها، وتندب سكانها...»، وهكذا أقامت مدينة الرسول أياماً بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي الى النواح الفاجع.

٧. في ص ٢١٨ من كتاب «سكينة بنت الحسين» السالف ذكره ما عبارته: «المؤرخون يقررون: أن المدينة كلها كانت في مأتم عام لسيد الشهداء، وأن أمها الرباب -أي أم سكينة- قد أمضت عاماً بأكمله حادة حزينة حتى لحقت بزوجها الشهيد، وأن أم البنين بنت حزام بن خالد العامرية، زوجة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كانت تخرج الى البقيع كل يوم فتبكي أبناءها الأربعة...».

٨. روى الشيخ الطوسي في أماليه المجلد الأول ص ٣٢٢ بسنده عن عمرو بن ثابت، عن أبيه أبي المقدام، عن ابن جبير، عن ابن عباس قال: «بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ، فخرجت يتوجه بي قائدي الى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء^(٤) فقلت: يا أم المؤمنين ما لك تصرخين وتغوئين؟ فلم تجبني، وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد الطلب اندبن وابكين معي، فقد قتل والله سيدكُنَّ وسيد شباب أهل الجنة، فقد قتل والله سبط رسول الله وريحانته الحسين، فقلت^(٥): يا أم المؤمنين ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام الساعة شعناً مذعوراً، فسألته

(٤) في المصدر زيادة (فلما انتهيت إليها).

(٥) في المصدر (فقل).

عن شأنه، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم، فدفتهم والساعة فرغت من دفنهم، قالت: فقممت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أعقل، فنظرت وإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء قد صارت هذه التربة دماً، وقد أعطانها النبي ﷺ فقال: اجعلي هذه التربة في زجاجة أو قال: في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين. فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور، قال: فأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين فجاءت الركبان بخبره وأنه قتل في ذلك اليوم.

قال عمرو بن ثابت -أحد رواة هذا الحديث-: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فسألته عن هذا الحديث، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبدالله بن عباس فقال أبو جعفر: حدثني عمرو بن أبي سلمة، عن أمه أم سلمة...».

٩. قال سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص»^(٦): «ذكر ابن سعد عن أم سلمة: أنها لما بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت: أو قد فعلوها؟ ملأ الله قبورهم ناراً، ثم بكى حتى غشي عليها»، وذكر هذا الحديث «الصواعق المحرقة»^(٧) أيضاً.

١٠. ذكر ابن الأثير في تاريخه ص ٣٨ المجلد ٤، ونقل ذلك «موسوعة آل النبي» ص ٧٤٨ ما يلي: «قال ابن عباس: رأيت النبي ﷺ الليلة التي قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دماً، فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى، فأصبح ابن عباس فأعلم الناس بقتل الحسين وقص عليهم رؤياه».

وعلقت الدكتور بنت الشاطي في الصفحة نفسها من موسوعتها تلك على ذلك

(٦) تذكرة الخواص: ٢٤٠.

(٧) الصواعق المحرقة: ٢٩٧ قطعة منه، تاريخ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣ و ٦٥.

بقولها: «عندما نادى المنادي بقدوم علي بن الحسين الى المدينة، وانتشر صدى النعي حتى بلغ سفح أحد، وارتد الى البقيع، فقباء، خافتاً ممزقاً وما لبث أن تلاشى في صراخ الباكين وعويل المناديات، وبلغ العويل سمع أمير المدينة عمرو بن سعيد الأشدق وكان من أنصار يزيد، فابتهج وقال:

عَجَّت نساء بني زياد عَجَّةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

يوم بيوم عثمان، وناعية بناعية عثمان، ولم تبقى مخدرة في المدينة إلا برزت من خدرها نائحة معولة...».

أقول: لقد نقل أقوال عمرو بن سعيد كل من تاريخ الطبري، وابن الأثير، وغيرهما من كتب المقتل، ثم تواصل الدكتورة بنت الشاطئ كلامها فتقول: «وأهل الركب الحزين على الجموع التي خرجت لاستقباله، فما رأت مدينة الرسول أفجع مشهداً، ولا رأت مثل ذلك اليوم أكثر باكيةً وباكية...»، وختمت الكاتبة قولها بما يلي:

«وأقامت مدينة الرسول أياماً بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي الى النواح الفاجع، وتتلقى في ثراها الطاهر دموع الباكين».

نكتفي بذكر هذا وهو غيظ من فيض، وما في بطون أمهات الكتب أكثر من ذلك بكثير في مثل: كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، وابن الأثير في المجلد الرابع صفحة «٤٥» من تاريخه، وفي الصفحة «٨٥» من كتاب «مقاتل الطالبين» لأبي الفرج الأصفهاني أيضاً، وفي تاريخ الطبري المجلد ٤: الصفحة ٣٥٨ ضمن حوادث سنة ٦١هـ، وكما في الصفحة «١٤٧-١٥١» من كتاب «نهضة الحسين»، كما جاء في الصفحة «١٦٢» من كتاب «إقناع اللائم» عند ذكر أم البنين ونياحتها في المدينة على استشهاد أولادها الأربعة في فاجعة كربلاء....





سُبْحَانَكَ
يَا كَرِيمُ



نوح السبايا والصحابة يوم الأربعاء

السيد صالح الشهرستاني

لقد تأكد بالروايات المتواترة أن السبايا والأسرى عرجوا بعد خروجهم من الشام على مجزرة كربلاء في اليوم العشرين من شهر صفر، وهو اليوم المصادف لمرور أربعين يوماً على مقتل الإمام الحسين عليه السلام ومصرع آل وأصحابه، وأقيمت المناحات على الشهداء حول مصرعهم ومدفنهم بكربلاء غير أن هناك خلافاً بين المؤرخين حول أن حضور ركب الأسرى والسبايا على قبور الشهداء في كربلاء هل كان في السنة نفسها -أي سنة ٦١هـ- أو في السنة التي تلتها، -أي سنة ٦٢هـ- ومعظم الروايات صريحة، وكثير من الأدلة ناطقة بأن ذلك قد تم في العشرين من شهر صفر سنة ٦١هـ وهي السنة التي صُرع فيها الحسين وآله عليهم السلام بكربلاء.

هذا بالإضافة إلى أن بعض الصحابة من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام كانوا قد توافدوا أيضاً على ساحة المعركة في ذلك اليوم، وأقاموا العزاء والنوح فيه على تلك القبور. وصادف أن التقى ركب السبايا والأسرى بوفود الصحابة في هذه الساحة الحزينة العزلاء، فأقام الفريقان فيها مناحة على الضحايا، الذين قضوا على يد أهل البغي والظلم في واقعة لم يسبق لها مثيل في ذلك العصر، وأنقل فيما يلي ما توفر لدي من هذه الروايات:

١. جاء في ص ٧٤٧ من «موسوعة آل النبي» عند وصف الرحلة من الشام إلى المدينة، وإلحاق دليل قافلة الأسرى والسبايا على قضاء حوائجهم ما نصه: «قالت زينب للدليل مرة: لو عرجت بنا على كربلاء فأجاب الدليل محزوناً: أفعّل، ومضى بهم حتى أشرفوا على الساحة المشؤومة، وكان قد مضى على المذبحة يومئذ أربعون يوماً، وما تزال الأرض ملطخة ببقع من دماء الشهداء وبقية من أشلاء غضة، عفا عنها وحش الفلاة وناحت النوائح، وأقمن هناك ثلاثة أيام، لم تهدأ لهن لوعة، ولم ترفأ لهن دمة. ثم أخذ الركب المنهك طريقه إلى مدينة الرسول...».

٢. ورد في رواية أخرى تنقلها أسناد الرواية المعتبرة مفادها: إن يزيد أمر برّد السبايا والأسارى من الشام الى المدينة المنورة في الحجاز، مصطحبين بالرووس، تحت إشراف جماعة من العرفاء، يرأسهم النعمان بن بشير الأنصاري، فلما بلغ الركب أرض العراق في طريقه الى مدينة الرسول قالت زينب للدليل: مُرّ بنا على طريق كربلاء، ومضى بهم حتى أشرفوا على ساحة القتل المشؤومة وكان جابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي الجليل، وجماعة من بني هاشم، ورجال من آل الرسول ﷺ قد وردوا العراق لزيارة قبر الحسين ﷺ. فيقول في ذلك علي بن طاووس في كتابه «اللهوف في قتلى الطفوف»: «إن الأسارى لما وصلوا الى موضع مصرع الإمام الحسين ﷺ، وجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول ﷺ قد وردوا لزيارة قبر الحسين ﷺ. فتوافدوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع عليهم أهل ذلك السواد وأقاموا على ذلك أياماً»^(١).

٣. أما قصة الصحابي الأشهر جابر بن عبدالله الأنصاري فتتلخص في أنه بعد أن علم بمقتل الإمام الشهيد - وكان قد كُفَّ بصره - توجه من المدينة نحو أرض كربلاء، وعندما وصل الى قرية الغاضرية على شاطئ نهر الفرات، اغتسل في شريعته، وتقمص بأظهر ثيابه، وتطيب بسعد كان مع صاحبه عطاء، ثم سعى نحو القبر الشريف حافي القدمين، وعليه علامات الحزن والكآبة، حتى وقف على الرمس الكريم، ووقع مغشياً عليه. وعند إفاقة من غشوته سمعه عطاء يقول: «السلام عليكم يا آل الله...» الخ.

٤. جاء في ج ١: ص ١٥١ من «المجالس السنية» ما عبارته: «لما رجع أهل

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٦.

البيت عليه السلام من الشام الى المدينة قالوا للدليل: مُرّ بنا على طريق كربلاء، فلما وصلوا الى موضع المصرع وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ^(٢) ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فتوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم، واجتمع عليهم أهل ذاك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً.

وعن الأعمش عن عطية العوفي قال: «خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رحمته الله زائراً قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فغتسل، ثم اترز بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنشرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسني يا عطية، فألمسته إياه فخرّ على القبر مغشياً عليه. فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين -ثلاثاً-، قال: حبيب لا يحيب حبيبه. ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شحبت أوداجك على أثباجك، وفُرق بين بدنك ورأسك. أشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى وسليل الهدى، وخامس أهل الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء. ومالك لا تكون هكذا»، الى آخر كلامه.

ثم يستطرد الكتاب حيث يقول: «ومضى عبد جابر ليرى من هم القادمون من ناحية الشام فما كان أسرع ما رجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته. فقام جابر حافي الأقدام مكشوف الرأس الى أن دنا من زين العابدين، فقال الإمام عليه السلام: أنت جابر؟ قال: نعم يا ابن رسول الله. قال: يا جابر ها هنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا...».

٥. جاء في ص ٣٦١ من كتاب «المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة» لجامعه جعفر الخليلي عند ترجمة حال جابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي الجليل ما نصه: «وهو -أي جابر- أول من زار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بعد أربعين يوماً من وفاته. وزيارته هذه من الزيارات المشهورة».

٦. أقول: ومنذ ذلك التاريخ، ويوم العشرين من صفر من كل عام، أصبح يوماً مشهوداً في التاريخ الإسلامي. كما أنه صار من أعظم أيام الزيارات لقبر الحسين عليه السلام وشهداء الطف في كربلاء، إذ تحتشد فيه الملايين من المسلمين في مدينة كربلاء، ويقيمون فيه المناحات الحزينة عند قبر الإمام عليه السلام، ويسيرون المواكب العظيمة التي تمثل ركب الإمام الشهيد عليه السلام وتعيد ذكره المقرحة. هذا ويحدثنا التاريخ بأن ركب السبايا والأسرى ترك أرض كربلاء بعد بقاءه فيها مدة ثلاثة أيام أو أربعة، ميمّنين شطر مدينة الرسول صلى الله عليه وآله في الحجاز.



بسم الله الرحمن الرحيم



بعض الأبيات الشعرية من قصيدة طويلة
للدكتور عبد الهادي الحكيم في ذكرى الأربعين

فِي أَرْبَعِينَكَ مَاذَا تَفْعَلُ الْكَلِمُ
 أَرْخِرَفَ الشُّعْرُ أَمْ وَشَاهُ قَائِلُهُ...؟
 مَا قِيَّةُ الشُّعْرِ إِنْ أَغْضَتْ عَلَى خَدِرِ
 أَوْ قَرَعَنْ طَلَبٍ مَا كَانَ طَالِبُهُ
 أَوْ أَنْ تُشِيحَ بَوَجْهِ الذِّلِّ عَنْ تِرَةِ
 الشُّعْرَانِ يَمْسَحَ الْعَدْلُ الرَّحِيمُ عَلَى
 الشُّعْرَانِ يَقْهَرُ الْمَظْلُومُ ظَالِمُهُ
 الشُّعْرُ مَا تُبْدِعُ الْبَتَّارَةُ الْخُذْمُ
 لَتَمْلَأُ الْأَرْضُ عَدْلًا بَعْدَ مَا مَلِئَتْ
 فِي أَرْبَعِينَكَ مَاذَا تَفْعَلُ الْكَلِمُ
 تِلْكَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَدَّتْكَ مَا فِتَتْ
 عَيْنٌ عَلَى الدَّرْبِ وَالْأُخْرَى عَلَى حُلْمٍ
 حَتَّى إِذَا حَانَ حِينُ الْوَصْلِ وَابْتَدَرَتْ
 وَهَلَّ فِي الْأَفُقِ الْمَوْعِدِ مُؤْتَلِقًا

مَاذَا أَقُولُ، وَهَلْ يُجِدِي الْغَدَاةَ فَمَ
 أَمْ صَاغَهْنَ عَيْنًا خَرَدًا قَلَمٌ...؟
 حُلُوٍ أَوْ أَغَفْتُ عَلَى إِنْشَادِهِ الْهِمُّ
 يَقْرُ يَوْمًا عَلَى ظَلَمٍ وَيَهْتَضُمُ
 الشَّهِيدِ - وَالْدَّمُ لَمَّا يَبْرِدُ - الرَّحِمُ
 الْجِرَاحِ حُبًّا وَتَحْنَانًا فَتَلْتَمُ
 جَهْرًا، وَتَقْصَصَ مِنْ ذِلَالِهَا الْأُمَمُ
 رَأْسُ فَيَهْشُمُ أَوْ صَدْرُ فَيُخْتَرَمُ
 عَسْفًا وَجَوْرًا فَلَا ظَلَمٌ وَلَا ظَلَمٌ
 وَ(كَرْبَلَا) تَبْتَدِي فِينَا وَتَحْتَمِ
 نَارُ الْوِدَادِ تُسَاقِيهَا فَتَضْطَرِمُ
 وَتَرْتَجِيهِ عَسَى يَأْتِي بِكَ الْحُلْمُ
 خِيُولُ نَصْرِكَ وَالْأَمَالُ تَزْدَحِمُ
 مُذَهَبًا قَمَرُ الْأَقْمَارِ يَبْتَسِمُ

بَاعَتْ بِبَيْحٍ زَهِيدٍ حُبَّهَا وَعَدَتْ
سَبْحَانَ رَبِّكَ رَبَّ الْقَلْبِ كَيْفَ هَوَتْ
أَهْكَذَا كَالسَّبَايَا تُشْتَرَى الذِّمُّ...؟
الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ نَخَاسٌ وَسَلَعَتْهُ
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكَمْ بَاعَتْ وَكَمْ شَرِيَتْ

عَلَيْكَ بِالسَّيْفِ تَقْرِي ثُمَّ تَقْتَسِمُ
عَلَى هَوَىٍّ مِنْ هَوَتْ أَسْيَافُهَا الْخُذُمُ
أَهْكَذَا كَالْمَرَايَا تُكْسَرُ الْقِيمُ...؟
وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
وَلَا تَزَالُ بَوَكْسٍ بِتِلْكَمُ الرِّمَمِ



للسيد رضا الموسوي الهندي عن لسان زينب عليها السلام



مقطوعة من تخميس
للسيد رضا الموسوي الهندي عن لسان زينب عليها السلام (١)

(١) يُنسب إليه تخميس أبيات ابن زيدون وقد صاغها عن لسان زينب عليها السلام.

ساق المطايا بنا للشامِ حادينَا ولا محامٍ لنا إلا أعادينَا
 لم يبقَ من إخوتي حامٍ فيحمينَا أضحي التنائي بديلاً من تدانينا
 وجارَ حكمُ الليالي بعدهم فينا

فسوف نقضي الليالي بعدهم أرقا ونملأ القلبَ من تذكّارهم حرقا
 كنّا جميعاً فأضحى جمعنا فرقا سرعانَ ما عادَ ذاكَ الشملُ مفترقا
 ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا

هل ينجلي ليلٌ هيّ عن صباحهم وهل لهم غدوةٌ عقي رواحهم
 وكيف والأرضُ فاضت من جراحهم من مبلغِ الملبسِنا بانتزاحهم
 وجدأً يبرزُ كراننا من مآقينا

كم من يدٍ بعدهم مُدَّت لتسلبنا سترَ الوجوهِ وضربَ السوطِ جلبنا
 وأظمؤونا فعادَ الدمعُ مشربنا وقد خلعنا رداءَ الصبرِ أعقبنا
 ثوباً من الحزنِ لا يبلى وبيلنا

يا مَنْ تَفَانُوا إلى جنبِ الفراتِ ظمّاً وروّوا البيضَ في يومِ الكفاحِ دما
 مضوا عطاشى ولكن روّوا الخدما ليسقِ عهدكم صوبَ الغمامِ فما
 سقاكمُ النهرُ عذبَ الماءِ ظامينا

كُنَّا وَكُنْتُمْ وَكَانَ الْعِيشُ قَدْ نَعِمَا بَكُمْ وَتَغُرُّ اللَّيَالِي كَانَ مَبْتَسَمَا

كُنَّا لَكُمْ يَا أَحِبَاءَ النَّفُوسِ كَمَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِنَا أَنْفَاسُهُنَّ وَمَا

كُنْتُمْ لَأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِنَا

فَالِهَمْ طُولَ اللَّيَالِي لَا يُبَارِحُنَا وَالذِّكْرَانِ لَا يُمَاسِينَا يُصَابِحُنَا

نَالَ الشَّمَاتَةَ فِينَا الْيَوْمَ كَاشَحْنَا بَنْتُمْ وَبَنَّا فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا

كَلَّا وَلَا أَوْرَقْتَ يَوْمًا أَمَانِنَا

كُنَّا وَلَا حَادِثَاتُ الدَّهْرِ تَطْرُقُنَا وَلَا لِيَالِيهِ بِالْأَرْزَاءِ تَرْمُقُنَا

وَالْيَوْمَ عَادَتْ سَهَامُ الْخَطْبِ تَرَشِقُنَا بِالْأَمْسِ كَا وَلَا يُخْشَى تَفَرَّقُنَا

وَالْيَوْمَ نَحْنُ وَلَا يُرْجَى تَلَاقِنَا

كَمْ أَنْجَمٍ مِنْكُمْ فَوْقَ الثَّرَى رَكَدَتْ وَكَمْ بَدْوٍ بِأَبْرَاجِ الرِّمَاحِ بَدَتْ

وَقَدْ أَفْلَتُمْ وَفِيكُمْ كَرْبَلَا سَعَدَتْ حَالَتْ لِفِرْقَتِكُمْ أَيَّامُنَا فَعْدَتْ

سُودًا وَكَانَتْ بَكُمْ بَيْضًا لِيَالِنَا

